

رد السهام عن كتاب حُمُر أُمَّةِ الْإِسْلَام و قُرْبُ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام

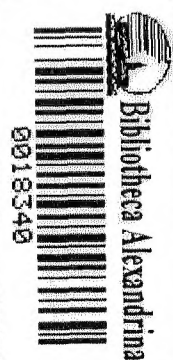
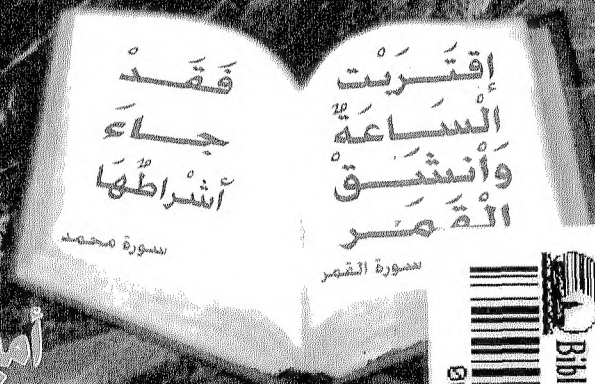
تأليف

أمين محمد جمال الدين

دراسات عليا في الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر



رد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام

تأليف

أمين محمد جمال الدين

دراسات عليا في الدعوة والتبليغ الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر

الملكبة التوفيقية

لمم للباب الأخضر - سينما الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

« رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ »

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى يحكم بالحق قطعاً وإليه المئاب والرُّجى ليجزى الذين
أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . جامع الناس ليوم لا ريب فيه
فيقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون .

أما بعد

فقد تعددت السهام - الطائشة - الموجهة إلى كتاب «عمر أمة الإسلام
وقرب ظهور المهدي عليه السلام». وقد سُررت بقول بعض أهل العلم الأفاضل
- مبشرا - : إن الحجارة لا ترمى إلا الشجرة المثمرة دون تلك الجرداء الخاوية .
وسُررت أكثر بتقريظ فضيلة شيخنا العلامة «أبى بكر الجزائري» للكتاب، فقد قال
لى صديقى الأخ الفاضل/ عبد العزيز بن بهزاد البحرى أنه قابل الشيخ فقال له
الشيخ ما نصه: (لقد جاءنى أحد المصريين يطلب منى أن أرد على الكتاب،
فأجبتة بأن هذا الكتاب هو المطلوب فى زماننا وسأرسل إلى مؤلفه تقريظاً
له). اهـ كلام الشيخ وسأقوم - بإذن الله تعالى- بترصيع صدر كتابى بتقريظ
شيخنا فور وصوله إلينا .

هذا، ومن المعلوم قطعاً أن أى كتاب سوى كتاب الله عزّ وجلّ لا يخلو من
قصور شاهد بأن الله تعالى وحده قد تفرّد بصفات الجلال والكمال . وإننى
لأرحب بالنصيحة والنقد الموضوعى البناء لعلّ أفيد منه، يئد أن الذى أحزننى
وساءنى سقوط بعض الإخوة المعترضين على الكتاب من طلبية العلم فى مزالق
الحسد، ومهاوى الكذب والافتراء، ودركات الرعونة والهوى والتسرّع !! .

ولا أجدنى متحرجاً من ذكر طرف مما قاله إخوانى فى حقّى فقد أعلنوه وأذاعوه وسجلّوه فى شرائط تسجيل - محفوظة عندى- ولم يستحيوا من ذلك!!
فسأذكر بعض أقوالهم حتى ألقى الضوء- قبل بيان الشبهات والردود - على جوانب من شخصية بعض ممن يتسبون إلى العلم، بل وينصبّون أنفسهم رقباء على الدعوة والدعاة إلى الله .

وما كنت أحب الخوض فى ذلك، ولكن إن كان لومٌ فعلى البادى والبادى أظلم .

قال الله تعالى: «ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل». وقال رسول الله ﷺ: «المتسآبان ما قالا البادى فعلى منهما». رواه مسلم عن أبى هريرة. بل قال الله تعالى: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم». ولن أجهر بسوء إن شاء الله بل ولن أسرّ به، وإنما سأذكر حقائق مجردة تاركا لإخوانى الحكم والإنصاف .

ولن أصرّح بأسماء - إلا عند الضرورة - حفاظاً على وجاهة أصحابها، مكتفياً بلغة الإشارة وإن اللبيب بالإشارة يفهم. واعلم أن ما سأذكره من أقوال قد قيلت لى مشافهة أو سمعتها بنفسى فى شرائط تسجيل تحت يدى .

* قال لى بعض المعارضين - شفاهة: «إننا نتحدث أنك تكسب من هذا الكتاب مالا كثيراً . . ثمانمائة أو تسعمائة جنيها يومياً» أ.هـ بنصه .

* وأقول: سبحان الله !! يغضّ النظر عن عدم صحة هذا الكلام، أقول: أخشى أن يكون ثمة علاقة بين قولكم هذا وبين استماتتكم فى الهجوم على الكتاب. وأقول لهؤلاء: ألا غضضتم الطرف عن عباد الله وزهدتم فى الدنيا

كما زهد فيها أسلافكم الصالحون حقاً من أمثال «أبي ذر» الذي تدعون الانتساب إليه والتشبه به وبإخوانه من صحابة رسول الله ﷺ! أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» .

* وقال بعضهم - فى شريط تسجيل - ما معناه: «إننى أظن أن وراء هذا الكتاب أشخاصاً آخرين . . وما صاحب الكتاب إلا واجهة فقط لما كتبه هؤلاء الباحثون» وأنشد قائلاً:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً: ويأتيك بالأخبار من لم تُزود .

* وأقول: والله الذى لا إله غيره ما رأى أحد مُسوِّدة هذا الكتاب المفتري عليه ولا اطلع أحد على ما فيه من تصنيف وتأليف وأبواب إلا بعد طبعه وصدوره فما أشبه قولكم بما قاله قدماء قريش «إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له الرحمن» وأقول: اللهم اشهد وأنت تعلم أن أحداً لم يعلم بما فى الكتاب لا على سبيل الجملة ولا التفصيل، لا «كذاب اليمامة» ولا «مفتري قوُص» فلم الافتراء يا عباد الله!؟ .

وعلى كل فهو شهادة تقدير لكتابتى أعتز بها . . والحق ما شهدت به . . الفضلاء - ومن العجيب حقاً ، بل والمؤسف أن صاحب هذا الافتراء هو أول من اعترض على الكتاب . وليس العجب من اعتراضه، كلا! ولكن لأنه أول من طبع الكتاب فى مطبعته الخاصة، وتُمت الصفقة تسليماً وثم مالبث أن هاجمه، بل لا يزال إلى الآن يزكى كل ناعق ويشجع كل موتور يهاجم الكتاب. وإننى لا أدري حتى الآن كيف يجتمعان؛ طبعه الكتاب ثم مهاجمته! أم أن الدين لله . . والمطبعة للجميع!؟ .

فتأمل واعجب واذكر قول القائل :

وما كلُّ بَرْقٍ لَاحٍ يَسْتَفِزُّنِي وَلَا كُلُّ مَنْ لَا قِيَتُ أَرْضَاهُ مُنِعِمَا

✽ وقال بعضهم - فى شريط تسجيل : «إن المؤلف عرض الكتاب بخط اليد على الدكتور/ سيد العربى فردّه عدة مرات ونصحه بعدم طباعته ، وكذلك أرسل كثير من أهل العلم رسالات متعددة إلى المؤلف وجلسوا معه عدة مرات حتى يشوه عن عزمه فى إصدار الكتاب ومن هؤلاء : الدكتور/ محمد عبد المقصود والشيخ/ يعقوب وغيرهم» أهـ.

✽ وأقول : الذى يسمع هذا الكلام من شيخ يعلم الناس يصدقه لا محالة خاصة وأنه يذكر أسماء محددة. ولكن سرعان ما تبدّد هذه الثقة فى «الشيخ» إذا علمت أن كل ما قاله كذب وافتراء ما حدث منه حرف واحد البتة فما عرضت الكتاب على أحد هؤلاء الأفاضل ، وما أرسل لى أحدهم رسالة واحدة ولا تحدثوا إلى ولا شئى .. وهم عندكم فاسألوهم !!

إذن فلماذا يقول الشيخ .. الثقة الثبت .. هذا الكلام ؟ لا أدرى !!!
وأقول لأخى هذا : ليس الكذب والافتراء خُلِقَ أهل العلم الراسخين ، ولا حتى «الأشباه» من طلبة العلم. وإئنى لا أزال انتظر من أخى الفاضل تبريرا لهذا الكذب .

✽ وقال نفس الأخ السابق : لما سأله سائل : كيف يجيز مجمع البحوث الإسلامية هذا الكتاب إذا كان فيه مخالفات لعقيدة أهل السنة والجماعة ؟! فأجاب أخونا - متسرّعا متجرّعا - «وهل مجمع البحوث يعنى أهل سنة وجماعة ؟! .. وأنتم تعلمون أن المال قد دخل فى كل شئ» أهـ بنصه .

* وأقول : أيها الأخ الكريم، إذا كنت ترى أن علماء مجمع البحوث الإسلامية ليسوا أهل سنة وجماعة، فهم إذن من الفرق الضالة، فمطلوب منك - وقد نصبت نفسك رقيياً وحكماً وقاضياً - أن تصنفهم في أى الفرق هم، حتى تعلمنا من علمك الفياض .

ثم أقول: إن اتهمك لى وللأساتذة الأفاضل فى المجمع بالرشوة المذمومة المحرمة قد تجاوز كل حدود الأدب واللياقة والدين . . . ولو شئنا أن نقاضيك فى الدنيا على هذا الاتهام الباطل لقاضيناك . . . فاتق الله الجبار . . . يا أبا الأشبال .

* وقال أحدهم : «أنا لم أقرأ الكتاب ورأيت أنه لا يُقرأ لأننى أريد أن أكون عضداً لأخى فلان الذى يعارض الكتاب» أهـ .

* وأقول : سامحك الله ولا أقول أخزأك الله !! وقاتل الله هذه العصبية الجاهلية المقيتة، قال رسول الله ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود .

. وأقول : هذه الرعونة ليست من خُلُق طلبة العلم ولا خلق المسلم العادى أصلاً، فيا «سلامة» قلب من تنزه عن الرعونة وسلم من العجلة واتسم بالعدل والإنصاف الذى ندر آخر الزمان .

* وقال أخ سابق* : أنا سأرد على جماعة «التبليغ والدعوة» بعد أن أفرغ من الرد على كتاب «عمر أمة الإسلام» .

وأقول لأخى الكريم : ألم يبق أمامك من تهاجمه سوى إخوانك؟! سبحان الله . . أقول لك ما قاله «شريح القاضى» لرجل شغل نفسه بمهاجمة إخوانه،

* ومن أمثال هذا الأخ أخونا «القوصى» الذى هاجم قريبا نحواً من ثمانية من الدعاة، وشنَّ عليهم حرباً شعواء وحذر المسلمين من الاستماع إليهم وأدعى - وبالله العجب - أنه يتقرب إلى الله بذلك !! سبحان الله . . نعوذ بالله من تزيين الشيطان للمعاصى .

قال له: يا هذا هل قاتلت الروم؟ هل قاتلت الفرس؟ هل قاتلت الديلم؟ قال الرجل: لا قال: سبحانه الله . . أفيسلم منك الروم والفرس والديلم ولا يسلم منك عرض أخيك المسلم؟! وأقول لك: من نصبك رقيياً على الدعوة وحاكماً على الدعاة حتى تهاجم هذا وتقيم ذاك وتصنف حسب هواك . وأقول: الحق أنني لما سمعت الشريط الذى تحدث فيه هذا الأخ أثرت عدم الرد عليه لأسباب :

الاول : كثرة ما أتى به من كذب وافتراء من نحو ماذكرته آنفاً .

الثانى : ما ظهر عليه واضحاً من تشويش وخلط وتلبس .

الثالث : ضعفه الشديد وجهله بقواعد اللغة العربية مما لا يخفى على «أشباه» طلبة العلم . يلحظ ذلك جلياً من عنده أدنى إلمام باللغة، فتجده مثلاً يقول: لا يلزم أن يكون (عالم) هكذا برفع خبر كان، ويقول: رواه (الشيخين) هكذا بنصب الفاعل . ويقول: قامت عليكم (ساعتكم) بالنصب، ويقول: ما على ظهر (الأرض) بنصب المضاف إليه . ويقول الحديث: «بعثت أنا والساعة» بخفض الساعة التى يلزم نصبها على أنها مفعول معه أما بالخفض كما فعل أخونا فيفسد المعنى .

وغير ذلك كثير أو قل هو الغالب على كلامه - والشريط تحت يدي - مما يجعل السامع يطرح الثقة فى فهم من لا يحسن قواعد اللغة . فأنتى لصاحب هذا اللسان السقيم أن يستقيم له فهم أو يصح له استنباط وهو فاقد لآله الفهم السليم، قواعد اللغة العربية .

ولكننى قررت أن أرد على النقاط العلمية التى شوش بها للأسف - بفهم

سقيم وذهن فقير - على بعض طلبة العلم، حتى يتضح الحق - وهو واضح -
ويدمغ الباطل، فالحق واضح أبلج والباطل مضطرب لجلج، وإلى الله ترجع
الأمور.

وقد عجبت أشد العجب من إخواني الذين نصحوني بعدم الرد، وقلت
لهم مستكراً: هل نصحتم إخوانكم الذين قاموا بالهجوم والكذب والافتراء على
بمثل ما نصحتمونى به؟! أتتصرون أحاكم مظلوماً ولا تنصرون إخوانكم ظالمين؟!
أأمرؤنى بحسن الأداء ولا تأمرونهم بحسن الطلب؟!

وماكنت أحب- يعلم الله - أن تضع أوقاتنا فى الرد والتعقيب، وإن كان
بدٌ من لوم فعلى المفتريين والمغرضين والبادئين .

وعلى كل حال فربُّ ضارة نافعة، فإنك تجد - بإذن الله - فى الردود ما
يؤكد ويثبت صحة ما جاء فى كتاب «عمر أمة الإسلام» وفى نفس الوقت ما يبين
تهافت وزيف الاعتراضات وسقوط الشبهات التى شغب بها بضعة نفر من طلاب
العلم.

وسأجعل كل شبهة وردّها فى فصل على حدة، على هيئة المناظرة إن
إمكان، مبتدئاً بالشبهات الأساسية، ثم لا ألتفت إلى ساقط الأقوال مُقوّناً الفرصة
على ذلك الصنف من الناس الذى لا يريد إلا الاشتهار بذكر اسمه فى «معترك
الأقران» زاعماً قدرته على هدم ما بناه المهندس من الأساس، وما مثله إلا:

كناطح صخرة يوماً ليوهنيها فلم يُضِرْها وأوهى قرنه الوعلُ

هذا، وجميع ما سأذكره من أقوال مثبت فى شرائط تسجيل بأصوات
قائلها وإن شئت أن أعزوها إليهم لفعلت ولكن سأكتفى بذكر الأقوال دون
قائلها. والله من وراء القصد .

الفصل الأول

شبهة (١) حساب عمر الأمة

﴿ قالوا : لا يصح أن نقول : «عمر أمة الإسلام» ، ولا أن نقول : «حديث عمر الأمم» ومسألة الحساب بدعة لا تجوز أصلاً .

﴿ قلت : أما قولكم لا يصح أن نقول : «عمر أمة الإسلام» ولا قولنا : «حديث عمر الأمم» فمنقوض بالآتي : قال الله تعالى : «ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» الأعراف - ٣٤ . وقال رسول الله ﷺ : «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم» . رواه البخاري في صحيحه . وفي رواية : «ما أجلكم» . وفي رواية «ما أعماركم في أعمار من مضى» . انظر فتح الباري كتاب الرقاق ح ١١ ص ٣٥٠ .

فالتعبير بلفظ «الأعمار» أو «العمر» هو من استعمالات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . ولا نعلم خلافاً بين علماء السلف على جواز تسمية الحديث بقصته أو معناه أو لفظة مشهورة فيه ، كحديث «الجلساسة» انظر صحيح مسلم شرح النووي - وكحديث «أم زرع» انظر فتح الباري كتاب النكاح ، وغير ذلك كثير . . . بل يجوز أن تسمى آي القرآن وسورة كذلك . . . فسورة «الإسراء» هي سورة بنى إسرائيل . وسورة «غافر» تسمى سورة المؤمن . وسوره «فاطر» هي سورة الملائكة . وهذه آية الكرسي وآية الربا وآية الدين ، . . وهكذا فقولنا : «عمر أمة الإسلام» وقولنا : «أحاديث عمر الأمم» هو من باب الجائز شرعاً

وأما قولكم : مسألة الحساب بدعة لا تجوز ، والحافظ ابن حجر شرح حديث : «إنما أعماركم في أعمار من مضى» على أنه للتقريب والتشبيه وليس للحساب .

- فأقول: لا أدرى ما تقولون !! صحيح أن «الحافظ» ذكر في بعض المواطن من «الفتح» أن الحديث يؤخذ منه التقريب والتشبيح. نعم . . لكنه نصّ في مواطن أخرى من «الفتح» أيضاً على أن للحديث محملين - كما سأبين - أحدهما أنه للتقريب والآخر أنه للحساب، فإنكاركم أحد المحملين مذموم وافتراء على «الحافظ» سواء كان ذلك بسبب الجهل بموطن كلام «الحافظ» أو كان بسبب التحكّم. وعلى كل سأدلّكم على موطن كلام «الحافظ» ونصّ مقالته. قال الحافظ: «وله محملان أحدهما: أن المراد بالتشبيه التقريب ولا يراد به حقيقة المقدار. والثاني أن يحمل على ظاهره (أى الحساب) فيقدم حديث ابن عمر (أى حديث إنما بقاءكم) لصحته ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خمس النهار تقريباً». ١٠هـ فتح البارى ح ١١ كتاب الرقاق ص ٣٥١.

فانظر أيها المنصف إلي كلام «الحافظ» وتعجب من تدليس المدلسين الذين أغفلوا هذا النص تحكّماً وتعصبا . . واسألهم: هل قال الحافظ هذا الكلام أم لا؟ - ثم إن كلام «المنائوى» فى (فيض القدير)، و«ابن رجب» فى «فتح البارى» له يؤيد الاحتمال الثانى .

- فإن قال قائل: قول «الحافظ» «استدل به - أى الحديث - على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف لأنه يقتضى أن مدة اليهود نظير مدتى النصارى والمسلمين» لايعنى أن الحافظ يستدل .

قلت: بل تعنى أكثر من ذلك، تعنى أن الحافظ نقل إلينا استدلال العلماء الذين ساغ له أن ينقل إلينا اجتهدهم ولو كان معارضا لهم ليبن ذلك، ولكنه أيدّه بقوله فى نهاية الجملة: «فتكون مدة المسلمين أكثر من ألف قطعاً» أ.هـ كتاب الإجارة ح ٤ . فهل علمتم هذه الجملة ، أم أخفيتموها عمداً ؟!

- فإن قال قائل : لفظه «استدل» من صيغ التضعيف نحو «رؤى» .

قلنا : كفاكم تدليسا !! صيغة المبني للمجهول في «رؤى» وإنما تدل على التضعيف في رواية الحديث، ولا يقاس عليها لفظ «استدل» لأن هذه الأخيرة ليست في «الرواية» وإنما في «الدراية» أى في فقه الحديث ومعناه . فعندما نقول «استدل» فهذا ليس من التضعيف فى شئ، كلا!! وإنما هو من باب عدم ذكر أصحاب هذا الاستدلال إما لعدم الحاجة إليه أو للذهول عنهم أو غير ذلك . وليس هو من التضعيف كما فى «رؤى»، فتنبهوا يا عباد الله، واحذروا من «طويلة العلم» .

فإن قال: إن حديث «ابن عمر» له محملان كما قال ابن حجر، والدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال كما هو مقرر عند أهل الأصول . فيسقط استدلال المؤلف بحديث «ابن عمر» على عمر الأمم.

قلنا: إن قصد سقوط الاستدلال مطلقاً فباطل، وإن قصد على المخالف عند المحااجة فيصح إن غابت قرائن الترجيح لأحد الوجهين . وقد وجدت القرينة بل القرائن . . . ثم إن الوجهين أو الاحتمالين لم يختلفا اختلاف تضاد بل تنوع، وهو مالا دخل له بمسألة السقوط أصلاً . فالوجه الأول التقريب والثانى التحديد، فيصح أن نقول التحديد التقريبي لعمر أمة الإسلام دون تعارض وهو ما قرناه فى كتابنا من تحديد تقريبي، فسقط بذلك زعمكم .

ثم لماذا تنكرون علينا اعتبار أحد الوجهين المحتملين للحديث وقد توجه عندنا . . وهل أنكرت إحدى الطائفتين من الصحابة على الأخرى فى فهم حديث «صلاة العصر فى بنى قريظة» واعتبار أحد الوجهين المحتملين للحديث !؟

أم هل أنكر النبي ﷺ على إحداهما ؟! ومثل ذلك يقال فى مسألة «الصيام فى السفر» وغيرها . فلماذا التحكم والهوى ؟! فيا من تتشدقون بألفاظ «أصولية» ، أسأل الله تعالى أن يرزقنى وإياكم الفهم الصحيح والإخلاص فى العمل .

فإن قال قائل : كيف يقول النصارى «نحن أكثر عملاً» أى أطول زماناً من المسلمين مع أن المسلمين أطول زماناً على قولكم حتى قبل إضافة نصف اليوم (الفضل) إلى عمر المسلمين وهو (خمسمائة سنة) .

قلت : الجواب من كلام الحافظ ابن حجر - رحمة الله - قال : . . (إن قائل «مالنا أكثر عملاً» هم اليهود خاصة، ويؤيده ما وقع فى كتاب التوحيد بلفظ «فقال أهل التوراة» ويحتمل أن يكون كل من الفريقين قال ذلك، أما اليهود فلأنهم أطول زماناً فيستلزم أن يكونوا أكثر عملاً، وأما النصارى فلأنهم وازنوا كثرة أتباعهم بكثرة زمن اليهود لأن النصارى آمنوا بموسى وعيسى جميعاً أشار إلى ذلك الإسماعيلي) أ.هـ كتاب الاجارة ص ٤٤٦ فاتضح من كلام «الحافظ» أمران :

الاول : أنه يقرر أن «اليهود» أطول زماناً من المسلمين .

الثانى : أن النصارى أقصر زماناً من المسلمين .

وكلام «الحافظ» يرد أولاً على الشبهة المذكورة، ويؤيد أن الحافظ يميل إلى حمل الحديث على ظاهره وأنه للحساب، وانظر وتأمل فى قوله- رحمه الله - عن اليهود أنهم : «أطول زماناً» .

فإن قال: المعلوم أن الوقت من الظهر إلى العصر (وقت النصارى) أطول من العصر إلى المغرب (وقت المسلمين) فكيف يتفق ذلك مع حساباتكم التى تفيد أن المسلمين أطول زماناً من النصارى .

قلت : جاءت بعض روايات الحديث بألفاظ مختلفة ترفع هذا الإشكال .
فقد روى الطبرانى بإسناده عن «سمرة بن جندب» الحديث بلفظ «فعملوا - أى
النصارى - حتى إذا كانوا قريباً من صلاة العصر» والحديث فى إسناده مساتير
وثقهم ابن حبان وتردد حكم الهيئى عليه فحسنه بمجمع الزوائد فى عدة مواضع
وقال عند هذا الحديث (٧/١٠) «فيه من لم أعرفهم» أ.هـ. إلا أن الحديث
صحيح بغيره فقد رواه البخارى وغيره من حديث أبى موسى وابن عمر، وفى
بعض روايات حديثهم لفظة «حتى إذا كان حين صلاة العصر» .

وفى بعض الروايات فى الصحيح لفظة: «إلى الليل» و «إلى مغارب
الشمس» بدلاً من «إلى غروب الشمس» .

فبالنظر إلى اختلاف الروايات وتداخل الأوقات الخاصة بالنصارى والمسلمين
ابتداءً وانتهاءً يكون زمن المسلمين قبل إضافة نصف اليوم الزيادة الذين عملوا
«قريباً من صلاة العصر» إلى «الليل» أطول من زمن النصارى الذين عملوا من
«الظهر» إلى «قريباً من صلاة العصر» ولا أظن أنه يبقى بعد ذلك إشكال، اللهم
إلا تشغيب المشاغبين .

فإن قائل قائلهم : لغة الأرقام - التى استخدمها المؤلف - ليست معهودة
فى دين الله، وما استخدمها العلماء من قبل .

قلت : يا الله العجب !! هذا القول لا يسقط فيه أصغر شبل من «الأشبال»
من طلبة العلم ممن يقرءون القرآن، ولو كانوا يفعلون لوجدوا فيه قوله سبحانه :
«بل لبثت مائة عام»، وقوله تعالى: «ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعاً» وقوله: «عليها تسعة عشر» وقوله: «فى يوم كان مقداره ألف سنة مما
تعدون» .

انظر يا عبد الله إلى الآيات وغيرها كثير مما لغتها الأرقام، وتعجب من قول رجل نصَّب نفسه معلِّمًا للناس ثم يؤدى به علمه إلى أن يقول: لغة الأرقام غير معهوده فى دين الله وتعجب أكثر من قوله: وما استخدمها العلماء من قبل. فإنك تجد فى غضون الكتاب وأيضًا فى هذا البحث أقوالاً مستفيضة لأئمتنا فى الحساب والأرقام من أمثال الإمام الطبرى والسهيلي وابن حجر والسيوطى وابن رجب، ومن قبلهم ابن عباس حَبْر الأئمة وترجمان القرآن وغيرهم كثير .

فلا أدري هل يعترف أخونا هذا بهؤلاء الأئمة أم أنه يبدعهم ويضلِّلهم؟! وعلى كل حال فلغة الأرقام معهودة فى الكتاب والسنة كما جاء فى الأحاديث الكثيرة من نحو: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» و«كان عمر آدم ألف سنة» وغيره أكثر من أن يحصى ولا فرق - عند العقلاء - أن نقول: «خمسمائة» أو «٥٠٠» ولا أن نقول «ألف سنة» أو «١٠٠٠ سنة» فالمعنى واحد، فاتقوا الله يا عباد الله ودعوا التشغيب .

بحث

طرق الحساب

بحث نفيس في حساب عمر الأمة

إن ما أثبتناه في الكتاب من طريقة لحساب عمر أمة الإسلام (والذي ليس هو «علم الساعة قطعاً ما أسلفنا») إنما هي طريقة واحدة اكتفينا بها إشفاقه على العامة من الخوض في بحار البحث ودروب الاستنباط والاستدلالات. وأيضاً مراعاة لأوقات أهل العلم والذين وجهت أنظارهم إلى مراجعي في البحث حتى يثوبوا إليها إن أرادوا المزيد ولكن المسألة استغلقت على أفهام بعضهم فقصرت عن الاستنباط والاستدلال فضلاً عن البحث والتحقيق؛ فكان لزاماً - والحالة هذه - أن نقرب المسألة ونوسع دائرة البحث ونقدم النتائج بصورة سهلة. فنورد ههنا طرقاً أخرى لحساب عمر الأمة، وإن كان في الطريقة المذكورة في كتابنا الغنية والكفاية لمن أراد الإنصاف.

والعجيب أن هذه الطرق تؤدي - على اختلاف مصادرها وأدلتها - إلى نفس النتيجة تقريباً وهي أن عمر الأمة الإسلامية يدور حول الـ (١٥٠٠) سنة كما أثبتنا في الكتاب فانظر في هاتيك الطرق بعين الانصاف ودع عنك التعجل والعصبية والتبعية المذمومة، فإنك أمام بحث «خطير» لاتجده إلا في هذا المكان والله المستعان وإليك هذه الطرق :

١ - الطريقة الأولى

هي الطريقة المذكورة في الكتاب تحت باب «عمر أمة الإسلام» فانظرها ثم

٢ - الطريقة الثانية

(طريقة طرح المدد)

ويمكن أن نسميها طريقة الإمام «السيوطي» ومفادها : حساب جملة الماضي من عمر الأمم منذ آدم عليه السلام إلى بعثة النبي محمد ﷺ وبطرح هذه الجملة من جملة عمر الدنيا نستنتج عمر أمة الإسلام .

ونورد أولاً نص كلام الإمام السيوطي . قال - رحمه الله - : (الذي دلّت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة، وذلك لأنه ورد من طرق أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأن النبي ﷺ بعث في أواخر الألف السادسة وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث في الأرض أربعين سنة وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة وأن بين النفختين أربعين سنة فهذه مائتا سنة لا بد منها والباقي الآن من الألف مائة سنة وستان وإلى الآن لم تطلع الشمس من مغربها ولا خرج الدجال الذي خروجه قبل طلوع الشمس ولا ظهر المهدي الذي ظهوره قبل الدجال بسبع سنين ولا وقعت الأشرار التي قبل ظهور المهدي ٠٠٠ فكيف يتوهم أحد أن الساعة تقوم قبل تمام ألف سنة ٠٠ بل إن اتفاق خروج الدجال على رأس ألف وهو الذي أبداه بعض العلماء احتمالاً، مكثت الدنيا بعده أكثر من مائتي سنة . المائتين المشار إليها والباقي ما بين خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ولا ندري كم هو، وإن تأخر الدجال عن رأس ألف إلى مائة أخرى كانت المدة أكثر ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمسمائة

سنة أصلاً*)^(١) أ هـ .

وقد أوردت نص ما قاله «السيوطي» لأن بعض صغار طلبة العلم من أمثال «الكوتشي» أنكروا علينا أننا لم نورد في الكتاب هذا النص الكامل واكتفينا بالجملة التي يقرر فيها السيوطي أن عمر الأمة يزيد على الألف ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة، وأقول لهؤلاء :

أولاً: نص كلام السيوطي الذي ذكرته ههنا، بل كل رسالته «الكشف» ما هو إلا تأييد وتفصيل للجملة التي اكتفيت بها في الكتاب وهي أن عمر الأمة يزيد على الألف ولا يبلغ ألفاً وخمسمائة أصلاً ، فإيراد كل كلامه يلزمني إذا كان بعضه يعارض بعضاً أو كان آخره ينقض أوله ، أما إذا كان آخره يُفصّل أوله ويؤكدده ، فلا أظن أحداً يلزمني بإيراد كلام طويل لإثبات جملة اكتفيت بها، خاصة وإنني قد ألزمت نفسي في مقدمة الكتاب بالاختصار والإيجاز.

ثانياً: نشدتكم الله أن تراجعوا نياتكم، وتراقبوا ربكم فإن الله يعلم بما في الصدور .

والآن إلى تفصيل كلام الإمام :

(*) شغب بعض المشاغبين وكتب بحثاً يقول فيه - متجاسراً - إن المؤلف قد حَرَفَ في كلام «السيوطي» وأثنى بلفظة «أصلاً» وليس في كلام السيوطي لفظة «أصلاً» فمن أين جاء بها المؤلف ١؟ ولم يستح - في بحثه الأجوف المتهافت - أن يجعل لذلك عنواناً ساذجاً تألفاً : «تحريف في كلام السيوطي» !! وسأترك القارئ الكريم يصمم صاحبنا هذا بما يحلو له من صفات .. الكذب .. الجهل .. التسرع .. الهوى .. سوء الطوية .. إلخ .

(١) نص كلام «السيوطي» من رسالته المسماة «الكشف عن مجاورة هذه الأمة الألف» ص ٢٣ - ٢٤ وهي صحيحة النسبة إلى الإمام «السيوطي» جلال الدين ولد بأسبوط من صعيد مصر سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ. وملا طباق الأرض علماً وتصنيفاً وتأليفاً وقد حقق هذه الرسالة الشيخ/ جاسم بن محمد مهلهل الكويتي .

أولاً : جملة عمر الدنيا

- صَحَّ^(١) عن أبي هريرة موقوفاً أنه قال، في قوله سبحانه: «لَا بُتَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا» قال: «الْحَقْبُ ثَمَانُونَ عَامًا الْيَوْمَ مِنْهَا كَسَدَسُ الدُّنْيَا» .

رواه «عبد بن حميد» ذكره «السيوطي» مسنداً في أواخر «اللائي» وإسناده صحيح. ورواه «هناد» في «الزهد» موقوفاً بمعناه وإسناده حسن. وابن جرير في التاريخ بلفظه مرفوعاً وفي إسناده مقال، وفي التفسير بمعناه موقوفاً .

- قال ابن جرير عقب هذا الأثر: (فَيَبَيِّنُ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا سِتَّةُ آلَافِ سَنَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ إِذَا كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا وَكَانَ الْيَوْمَ الْوَاحِدُ مِنْ أَيَّامِ «الْحَقْبِ» سَدَسُ الدُّنْيَا كَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ الدُّنْيَا سِتَّةُ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ سِتَّةُ آلَافِ سَنَةٍ، انظر تاريخ الطبري ج ١ ص ١٧ .

- وثبت عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون: «مدة الدنيا سبعة آلاف سنة» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدى من طريق ابن اسحق قال حدثنا محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبيرة عن عكرمة أو عن ابن عباس به. وحسَّنَ هذا الطريق الإمام السيوطي في الاتقان (٢/٢٤٢) والحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٣٣٢) .

- وهذا المنقول عن ابن عباس بسند حسن عن أهل الكتاب هو خلاف ما صحَّ عن أبي هريرة من أنها «ستة آلاف سنة» مما يدل على اختلاف المصدر عندهما. والراجح ما رواه أبو هريرة موقوفاً وله حكم الرفع. وقد روى الفقرة

(١) ورواه «البيزار» مرفوعاً مقتصرًا على الفقرة الأولى منه. وروى الفقرة الأولى منه الحاكم في المستدرک (٥٥٦/٢) عن عبدالله بن مسعود وصححه ووافقه الذهبي .

الأولى منه عبد الله بن مسعود وهو ممن لم يعرف بالرواية عن أهل الكتاب .

- ويمكن الجمع بين القولين (قول ابن عباس وقول أبى هريرة) بأن يحمل قول أبى هريرة بأن عمر الدنيا (ستة آلاف سنة) أى دون الزيادة^(١) ودون يوم القيامة^(٢)، والزيادة مقدارها نصف يوم (خمسمائة سنة) ويوم القيامة مقداره نصف يوم (خمسمائة سنة) ويحمل قول ابن عباس (سبعة آلاف سنة) على فنائها .

ويؤيد ذلك ما جاء فى الأحاديث الصحيحة أن آدم خلُق يوم جمعة (أخرية) وأن الساعة تقوم - بلا خلاف - يوم جمعة (أخرية)، وذنوبية أيضاً .

ودليل ذلك ما رواه مسلم فى صحيحه وأحمد والترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم جمعة» .

ودليل أن جمعة القيامة (أخرية) الحديث التالى :

«أتانى جبريل بمثل المرأة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل ماهذه؟ قال:

(١) حديث «سعد بن أبى وقاص» : «إنى لأرجو أن لا تعجز امتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم . . قيل لسعد : كم نصف يوم، قال : خمسمائة سنة» - صحيح رواه أحمد وأبو داود والحاكم وأبو نعيم فى الحلية . وهو فى صحيح الجامع برقم ٢٤٨١ و ١٨١١ قال العلامة الألبانى : «صحيح» وقال رهبر الشاويش : فى المشكاة برقم ٥٥١٤ . وأورده من حديث «أبى ثعلبة» فى صحيح الجامع أيضاً برقم ٥٢٢٤ ، وقال الألبانى : صحيح أ.هـ .

ادعى بعض الطلبة - كذباً - أن الشيخ الألبانى ضعف هذا الحديث . وأقول أيها الكاذب أن العلامة الألبانى لم يضعف الحديث بل صححه فى عدة مواضع من صحيح الجامع، وكذلك فى سلسلة «الصحيحة» لغيره .

(٢) عن أبى هريرة عن النبى ﷺ «يوم يقوم الناس لرب العالمين» مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلى الشمس للغروب إلى أن تغرب» . ذكره الهيثمى فى «المجمع» كتاب البعث باب خفة يوم القيامة على المؤمنين وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير اسماعيل بن عبد الله بن خالد وهو ثقة .

هذه الجمعة ٠٠٠ قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم يوم الجمعة ونحن ندعوه (عندنا) المزيدي..» حديث حسن رواه أبو يعلى عن أنس (ح٧ - ٢٢٨) وحسنه الشيخ «مقبل» في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين .

- فمقتضى ذلك أن الساعة إذا لم تقم هذه الجمعة (الأخروية) لزم أن تقوم الجمعة الأخروية التالية أى بعد (سبعة آلاف سنة) لأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون. وهذا محال بل باطل لاعتبارات عدة: منها قول الله تعالى: «فقد جاء أشراطها» وقوله سبحانه «اقتربت الساعة» وقوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ومنها وقوع كل أشراف الساعة الصغرى. ومنها إخباره ﷺ عن اليهود أنهم أطول زماناً من المسلمين. فإن لم تقم هذه الجمعة (الأخروية) لزم أن نضيف إلى عمر الأمة الإسلامية سبعة آلاف سنة أخرى على الأقل وهذا محال لأنه ينقض أصولاً كثيرة. فثبت بذلك أننا نعيش الآن فى الحقبة الأخيرة من عمر الدنيا. وهذا لايعنى علم الساعة وإنما علم قربها. كما قال «الألوسى» فى روح المعانى: أن النبى ﷺ لم يعلم وقت قيامها، نعم علم ﷺ قربها على الإجمال وأخبر به» .

انظر الألوسى : تفسير سورة الأعراف - قوله سبحانه: «قل إنما علمها عند الله» .

✽ إذن جملة عمر الدنيا - على طريقة السيوطى = ٧ آلاف سنة

ثانيا : جملة الماضى من عمر الأمم (من آدم عليه السلام إلى بعثة محمد ﷺ)

روى الحاكم^(١) (ونقله عنه السيوطى فى الدر ٢/٢٤٨) عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «كان عمر آدم ألف سنة. قال ابن عباس: وبين آدم ونوح ألف سنة. وبين نوح وإبراهيم ألف سنة وبين إبراهيم وموسى سبعمائة سنة وبين موسى وعيسى ألف وخمسمائة سنة وبين عيسى ونبينا ستمائة سنة» .

- وقوله: (وبين موسى وعيسى ألف وخمسمائة سنة) موافق لما نقله ابن كثير فى البداية والنهاية (ح ٢ ص ٧٢) عن أبى زرعة الدمشقى قال: حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن حدثه قال: «أنزلت التوراة على موسى لست ليال خلون من شهر رمضان ونزل الزبور على داود فى اثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنين وثمانين سنة وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم فى ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما وأنزل الفرقان على محمد ﷺ فى أربع وعشرين من شهر رمضان» .

- وهو موافق أيضاً لما رواه «ابن عساكر» فى تاريخ دمشق، ونقله عنه «ابن منظور فى مختصره للتاريخ (ح ١ ص ٢٨) عن أيوب بن عتبة قال: «كان بين آدم ونوح عشرة آباء وذلك ألف سنة وكان بين نوح وإبراهيم عشرة آباء وذلك ألف سنة وكان بين إبراهيم وموسى سبعة آباء ولم يسم السنين وكان بين

(١) رواه الحاكم من طريق على بن زيد، ولجل فقراته شواهد. فالقدر المرفوع منه صحيح لغيره وله شاهد من حديث أبى هريرة فى صحيح الجامع برقم ٥٢٠٩ والفقرة الأولى والثانية منه هتتا معاً من حديث أبى أمامة مرفوعاً (ذكره الهيثمى فى المجمع ٨/٢٢٠، ١/١٩٦) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خلّيد الحلبي وهو ثقة وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية وقال رواه ابن حبان وصححه ابن كثير على شرط مسلم بالفقرة الأولى منه .
وصحت الفقرة الأولى منه عند الحاكم من حديث ابن عباس موقوفاً وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وقال على شرط البخارى. والفقرة الأخيرة من الحديث صحّت من حديث سلمان عند البخارى .

موسى وعيسى ألف وخمسمائة سنة وكان بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة وهنى الفترة» .

وأثر أيوب بن عتبة هذا موافق أيضا لحديث ابن عباس فى المدة بين إبراهيم وموسى عليهما السلام بل وموافق لكل المدد المذكورة فيه . وتلك المدد موافقة للمذكور بكتب أهل الكتاب من حيث الجملة .

* إذن جملة المدد من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ = ٤٨٠٠ سنة .

ثالثا : جملة المدة ما بين طلوع الشمس من مغربها (انتهاء عمر أمة الإسلام تقريباً) إلى انقضاء الحساب ودخول الناس منازلهم فى الدار الآخرة

- المدة بين طلوع الشمس من مغربها إلى قيام الساعة = ١٢٠ سنة

قال عبد الله بن عمرو: «يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة». صحيح موقوفاً رواه أحمد وابن أبى شعبة وعبد الرزاق والطبرانى وقال الهيثمى رجاله ثقات .

- المدة بين النفختين = ٤٠ سنة

قال ﷺ: «بين النفختين أربعون» متفق عليه عن أبى هريرة . وعند ابن مردويه وابن أبى داود فى «البعث» ورواية ابن المبارك فى الزهد عن الحسن زيادة «أربعون عاماً» .

- المدة التى يمكثها الناس شخوصاً إلى السماء ينتظرون فصل القضاء = ٤٠ سنة

قال ﷺ: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاحصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله فى ظلل من الغمام . .»

ذكره «الإمام الذهبي» في «العلو» وحسن إسناده عن ابن مسعود. وكذلك الألباني. انظر مختصر العلو للألباني ص ١١٠-١١١ .

- مقدار يوم القيامة = ٥٠٠ سنة

صحَّ أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لربِّ العالمين» مقدار نصف يوم سبق تخريجه في أوائل هذه الطريقة. ويؤخذ هذا أيضاً من الحديث الصحيح الذي فيه: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنياءهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام» انظر صحيح الجامع برقم ٨٠٧٦ .

* إذن مجموع المدد من طلوع الشمس من مغربها إلى انقضاء الحساب = ٧٠٠ سنة

وحيث أن : جملة عمر الدنيا (من بعثة آدم وإلى انقضاء الحساب) =

جملة الماضي من عمر الأمم إلى بعثة محمد ﷺ + عمر أمة محمد ﷺ

+ المدة من انتهاء عمر أمة محمد (طلوع الشمس من مغربها تقريبا) إلى

انقضاء الحساب

إذن : ٧٠٠ = ٤٨٠٠ + عمر أمة محمد ﷺ + ٧٠٠

إذن : عمر أمة محمد ﷺ = ٧٠٠ - ٤٨٠٠ - ٧٠٠ =

(بحساب الإمام السيوطي) = ١٥٠٠ سنة

وهذه النتيجة تقريبية لأننا اعتبرنا أن عمر الأمة ينتهي بطلوع الشمس من مغربها والواقع أنه ينتهي بعد ذلك بقليل عندما تأتي ريح فتقبض أرواح المؤمنين .

قال الإمام «السيوطي» في رسالته «الكشف ص ٤٣» مانصه : «ثم بعد

انتهائي بالتأليف إلى هنا رأيت في كتاب «العلل» للإمام أحمد بن حنبل قال:

حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه حدثني عبد الصمد أنه سمع «وهبا» يقول: (قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة، إنى لأعرف كل زمان ما كان فيه من الملوك والأنبياء) وهذا يدل على أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف بنحو أربعمائة سنة تقريباً .

أ هـ بنصه . ، والأثر المذكور إسناده حسن ، كما قال محقق رسالة «الكشف»

٣ - الطريقة الثالثة

(طريقة الإمام ابن رجب الحنبلي)*

نص كلام الإمام «ابن رجب» - رحمه الله - فى شرحه على حديث «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» رواه البخارى عن ابن عمر قال «ابن رجب»: (إنما أراد به - والله أعلم - أتباع موسى وعيسى عليهما السلام وإنما قلنا: إن هذا هو المـراد من الحديث، لأن مدة هذه الأمة بالنسبة إلى مدة الدنيا من أولها إلى آخرها لا يبلغ قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس بالنسبة إلى ما مضى من النهار بل هو أقل من ذلك بكثير) أ هـ من فتح البارى لابن رجب حديث رقم ٥٥٧ ص ٣٣٣ .

وقال - رحمه الله - ص ٣٣٩ - ٣٤٠ «وقد قدمنا أن المراد بهذا الحديث مدة

* حاول بعض المشاغبين أن يشغبوا على طلبة العلم ويوهموهم - تدليسا - أن «ابن رجب» أنكر مسألة الحساب تماما كما افتروا على «ابن حجر» وأقول لطلبة العلم: حاكم نصوص كلام الإمام ابن رجب - فى شرحه لصحيح البخارى - حتى تعلموا إلى أى مدى يشغب المشاغبون ويدلس المدلسون فلا تغتروا يا عباد الله بما يقوله أشبال طلبة العلم ولا حتى «أبو الأشبال» .

أمة محمد ﷺ مع مدة أمة موسى وعيسى عليهم السلام. فمدة هذه الأمم الثلاث كيوم تام ومدة ما مضى من الأمم فى أول الدنيا قليلة هذا اليوم فإن الليل سابق للنهار وقد خلق قبله على أصح القولين وتلك الليلة السابقة كان فيها نجوم تضى ويُهتدى بها وهم الأنبياء المبعوثون فيها، وقد كان -أيضاً- فيها قمر منير وهو إبراهيم الخليل عليه السلام إمام الخنفاء ووالد الأنبياء وكان بين آدم ونوح ألف سنة وبين نوح وإبراهيم ألف سنة وبين إبراهيم وموسى ألف سنة قال ذلك غير واحد من المتقدمين . . .» ثم قال « . . . وأما ابتداء رسالة موسى عليه السلام فكانت كابتداء النهار فإن موسى وعيسى ومحمداً ﷺ هم أصحاب الشرائع والكتب المتبعة . . . فكانت مدة عمل بنى إسرائيل إلى ظهور عيسى كنصف النهار الأول، ومدة عمل أمة عيسى كما بين الظهر والعصر، ومدة عمل المسلمين كما بين العصر إلى غروب الشمس» أ هـ .

هذا -والله- كلام الإمام «ابن رجب» وهو يدل على أنه قد نهجاً والتزم طريقة فى فهمه للحديث بيانها كالاتى :

- إنه جعل مدة الدنيا كلها كيوم بليته ونهاره. وجعل الليل نصف ذلك والنهار النصف الآخر. وجعل مدة ماضى من الأمم من آدم عليه السلام إلى موسى عليه السلام هو ليل ذلك اليوم (لأن الليل سابق النهار)^(١) ومقداره ثلاثة آلاف سنة (٣٠٠٠ سنة) وجعل -ابن رجب- مدة الأمم الثلاث (اليهود والنصارى والمسلمين) نهار ذلك اليوم، ومقداره قريب^(٢) من النصف الأول

(١) ودليل ذلك قوله سبحانه : «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون» سورة يس فهو يدل على أن الليل الأصل والنهار جاء بعده، فإذا سلخ النهار رجعنا للأصل وهى الظلمة والليل .

(٢) وهو مأخوذ من كلام ابن رجب (ص ٣٤٣) قال : «وقد قدمنا أن حديث ابن عمر يدل على أن مدة الدنيا كلها كيوم وليلة وأن مدة الأمم الثلاث قريب من نصف ذلك» أ هـ .

وهو الليل .

واليكلم كلام «الإمام ابن رجب» فى صورة الحساب - وهو مالا يحسنه كثير من الإخوة المعترضين نقول:

١ - مدة أعمار الأمم من لدن آدم إلى موسى عليهما السلام (ليل اليوم) = ٣٠٠٠ سنة

٢ - مدة أعمار الأمم الثلاث (يهود ونصارى ومسلمون) (نهار اليوم) = ٣٠٠٠ سنة (قريب من ذلك)

٣ - مدة اليهود هى نصف نهار ذلك اليوم - كما نص ابن رجب - ومدة النصارى والمسلمين مجتمعة النصف الآخر .

وحيث أن عمر اليهود النصف من ذلك (قريب منه) = ١٥٠٠ سنة

وعمر النصارى والمسلمين النصف الآخر = ١٥٠٠ سنة

وعمر النصارى (بنص أثر سلمان عند البخارى) = ٦٠٠ سنة

∴ عمر أمة الإسلام = ١٥٠٠ - ٦٠٠

= ٩٠٠ سنة

وبإضافة نصف اليوم الزيادة فى عمر الأمة وهو (٥٠٠ سنة) كما فى حديث «سعد» المذكور قبل

إذن : عمر أمة الإسلام = ٩٠٠ + ٥٠٠

(بحساب الإمام ابن رجب) = ١٤٠٠ سنة (قريب من ذلك)

※ لاحظ أن طريقة ابن رجب قد توافقت - بغير تكلف - توافقا عجيبا مع الطريقة الثانية (طريقة السيوطى)، ومع طريقتنا فى الكتاب (الطريقة الأولى) . ودع عنك العجب الآن، وانظر الطريقة التالية:

٤ - الطريقة الرابعة

(طريقة النصف سبع)

ويمكن أن نسميها طريقة «النصف سبع» وهى طريقة مأخوذة من فهم بعض العلماء لحديث النبى ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعيه يدهما»^(١) .

قال الحافظ ابن حجر: (قال عياض وغيره : أشار بهذا الحديث على اختلاف الفاظه إلى قلة المدة بينه وبين الساعة ، والتفاوت (أى بين إصبعى النبى ﷺ السبابة والوسطى) إما فى «المجاورة» وإما فى «قدر ما بينهما» ، ويعضده قوله «كفضل أحدهما على الأخرى» وقال بعضهم : هذا الذى يتجه أن يقال (أى التفاوت فى الفرق النسبى الطولى فى قدر ما بينهما) ، ولو كان المراد الأول (التفاوت فى المجاورة) لقامت الساعة لاتصال إحدى الإصبعين بالأخرى .

قال ابن التين : اختلف فى معنى قوله «كهاتين» فقليل كما بين السبابة والوسطى فى الطول وقيل المعنى ليس بينه وبينها نبى . وقال القرطبى فى «المفهم» حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها قال وعلى رواية النصب (أى نصب الساعة) يكون التشبيه وقع بالانضمام وعلى الرفع وقع بالتفاوت (بين الإصبعين) . وقال البيضاوى : معناه : أن نسبة تقدم البعثة على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى . . . ورجح الطيبى قول البيضاوى بزيادة «المستورد»^(٢) فيه قال القرطبى فى «التذكرة» معنى هذا الحديث تقريب أمر الساعة ، ولانفاة بينه وبين قوله فى الحديث الآخر «ما المسئول عنها بأعلم من

(١) متفق عليه من حديث أنس وغيره .

(٢) رواية «المستورد بن شداد» : «بعثت فى نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه لهذه لإصبعيه السبابة والوسطى» أخرجها الترمذى والطبرى .

السائل» . . . ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه . قال الضحاك : والحكمة في تقدم الأشراف إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد وقال الكرمانى : قيل معناه الإشارة إلى قرب المجاورة ، وقيل إلى تفاوت ما بينهما طولاً^(١) أ هـ . وقال «ابن رجب» فى شرحه للحديث : (وشرح قتادة وغيره «كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى» بأن المراد كفضل إحداهما على الأخرى يعنى كفضل الوسطى على السبابة). ١ هـ من كتاب «فتح البارى» للإمام ابن رجب حـ ٤ ص ٣٣٦ (وهو غير فتح البارى لابن حجر) .

- مما سبق يتبين - وإن خالف فى ذلك بعض العلماء - أن كثيراً من العلماء أخذوا من فقه الحديث السابق أن نسبة تقدم البعث النبوية على قيام الساعة كنسبة الفرق الطولى بين إصبعين محددين هما السبابة والوسطى ، ولأن النبى ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فعندما يشير بإصبعيه السبابة والوسطى ويقول سبقت الساعة كما سبقت هذه لهذه ، فهو يعنى ما يقول لأنه المشرع عن ربه ، وإلا فلو أنه أشار بإصبعيه السبابة والإبهام لكان الفرق بين الإصبعين مختلفاً تماماً فى النسبة والطول .

إذن على فهم كثير من العلماء فإن «بعثة النبى ﷺ» قد سبقت «الساعة» بقدر نسبة الفرق الطولى بين إصبعى السبابة والوسطى .

قال ابن حجر : (والسابق إلى ذلك أبو جعفر بن جرير الطبرى) الفتح حـ ١١ ص ٣٥٠ .

وقال ابن رجب : فى شرحه : وقد ذكر ابن جرير الطبرى أن فضل ما بين السبابة

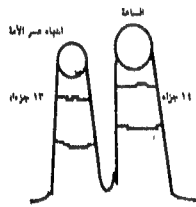
(١) انظر فتح البارى حـ ١١ كتاب الرقاق ص ٣٤٩-٣٥٠ .

والوسطى نحو نصف سبع $(\frac{1}{7} \times \frac{1}{7})$ ١٥ جزء من الفتح لابن رجب ص ٣٣٦ .

حساب عمر الأمة علي طريقة النصف سبع

الفارق بين السبابة والوسطى - كما قالوا هو نصف سبع $(\frac{1}{7} \times \frac{1}{7})$ أى نصف جزء من سبعة أجزاء أى جزء من أربعة عشر جزءاً $(\frac{1}{14})$.

فيكون طول الوسطى أربعة عشر جزءاً (١٤) وطول السبابة ثلاثة عشر جزءاً (١٣)، وعلى ذلك تكون المدة من (البعثة إلى الساعة) تمثلها الاصبع الوسطى وقدرها (١٤) جزءاً. والمدة من (البعثة إلى انتهاء عمر أمة الإسلام) قدرها (١٣) جزءاً كما يوضحه الرسم التالى (١) :



- فإذا علمنا قيمة الجزء وهو المدة التى يمكثها الناس بعد طلوع الشمس من مغربها (قبل قبض أرواح المؤمنين وانتهاء عمر الأمة الإسلامية بقليل) إلى أن تقوم الساعة علمنا بحساب عدد الأجزاء عمر أمة الإسلام بطريقة الإمام الطبرى .

- وحيث أن المدة التى يمكثها الناس بعد طلوع الشمس من مغربها = ١٢٠ سنة (٢) .

(١) سبق إلى الرسم التوضيحي أئمة كبار كابن حجر . انظر فتح البارى ج ١٠ باب الامتشاط، وانظر كتاب الرقاق ج ١ ص ٣٢١، ص ٢٣٦ وانظر رياض الصالحين للنووى . وهذا قد فعله رسول الله لما خط على الأرض خطاً مستقيماً وخطوطاً معوجة . وقد ذكرت ذلك حتى لا يتسرع قليلو العلم باتهامى .
(٢) اثر صحيح سبق تخريجه .

إذن عمر أمة الإسلام = 120×13

= 1560 سنة تقريباً

وهذه النتيجة قريية أيضا من نتائج الطرق السابقة واللاحقة، ولعل الفرق جاء من اعتبار أن نهاية عمر الأمة بطلوع الشمس من المغرب والواقع أنه يتأخر عن ذلك بمدة لا يعلمها إلا الله، لأن المسلمين يرون بعد طلوع الشمس من مغربها الدابة والدخان من الآيات الكبار ثم تأتي ريح بعد ذلك بقليل (لأنعلمه) فتقبض أرواح المؤمنين وتنتهي عمر الأمة. وهذا يؤكد أن أحدا لا يعلم متى الساعة على التحديد. وحسابات عمر الأمة ليست من علم «الساعة» في شيء.

٥ - الطريقة الخامسة

(طريقة الحافظ ابن حجر)

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (حـ ١١ ص ٣٥٠) حديث ابن عمر من طريق مغيرة بن حكيم: «ما بقى لأمتي من الدنيا إلا كمقدار إذا صُلِّيت العصر» وذكر حديث ابن عمر بلفظ: «كنا عند النبي ﷺ والشمس على قيععان مرتفعة بعد العصر فقال: ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقى من هذا النهار فيما مضى منه». قال ابن حجر: وهو عند أحمد بسند حسن، وفي حديث أبي سعيد بمعناه قال عند غروب الشمس «إن مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه» قال ابن حجر: وفيه على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

ثم قال الحافظ - رحمه الله - ما نصه: (...) وحديث ابن عمر صحيح

متفق عليه فالصواب الاعتماد عليه وله محملان: أحدهما: أن المراد بالتشبيه التقريب ولايراد حقيقة المقدار فبه يجتمع مع حديث أنس وأبى سعيد على تقدير ثبوتهما. والثاني: أن يحمل على ظاهره (أى الحساب) فيقدم حديث ابن عمر لصحته ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خمس النهار تقريباً ($\frac{1}{5}$).
 ١١٠٠ بنصه ح ١١ ص ٣٥١ قلت: وما بين الأقواس فهو من كلامى: (أى الحساب) ، ($\frac{1}{5}$) .

حساب عمر الأمة من كلام ابن حجر (نصاً) :

- مدة عمر هذه الأمة إلى مدة الدنيا كلها = $\frac{1}{5}$ (تقريباً)

وباعتبار عمر الدنيا سبعة آلاف سنة (٧٠٠٠ سنة) وهو ما ناقشناه وأثبتناه . من كلام الإمام السيوطى ، ونقلنا ثم أقوال الأئمة الذين قالوا بهذا القول :

$$7000 \times \frac{1}{5} = \text{إذن عمر أمة الإسلام} \\ = 1400 \text{ سنة (تقريباً)}$$

٦ - الطريقة السادسة

(طريقة أخرى لابن حجر)

قال ابن حجر - رحمه الله - مانصه : (. . فكيف يصح قول النصارى أنهم أكثر عملاً من هذه الأمة وقد قدمت هناك (أى فى مواقيت الصلاة) عدة أجوبة عن ذلك فلتراجع من ثم ، ومن الأجوبة التى لم تتقدم أن قائل «الناس أكثر عملاً»

اليهود خاصة، ويؤيده ما وقع في «التوحيد» بلفظ «فقال أهل التوراة». ويحتمل أن يكون كل من الفريقين قال ذلك، أما اليهود فلأنهم أطول زمانا فيستلزم أن يكونوا أكثر عملا، وأما النصارى فلأنهم وازنوا كثرة أتباعهم بكثرة زمن اليهود لأن النصارى آمنوا بموسى وعيسى جميعاً، أشار إلى ذلك الإسماعيلي. انتهى بنصه. فتح الباري حـ٤ كتاب الإجازة ص ٤٤٦.

- فابن حجر هنا يقرر- بلا احتمالات- أن اليهود أطول زمانا من المسلمين، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً، لاعدد المسلمين، ولاعدد أهل الكتاب.

- فإذا علمنا مدة اليهود علمنا أن المسلمين لا يصلون إلى هذه المدة، فيعلم بذلك العمر التقريبي لهم.

- فكم عمر اليهود ١٩ يؤخذ هذا من طريقتين :

الأول : مارواه «الحاكم» ونقله «ابن كثير» عن أبي زرعة الدمشقي وما رواه «ابن عساكر» في تاريخ دمشق، وغيرهم يفيد أن :

عمر أمة اليهود = ١٥٠٠ سنة

الثاني : من نص كلام ابن حجر في الفتح (حـ٤ س ٤٤٩) قال : (وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفى سنة ومدة النصارى من ذلك ستمائة وقيل أقل . .) ١هـ.

إذن عمر أمة اليهود = ٢٠٠٠ - ٦٠٠

أكثر من = ١٤٠٠

ومن الطريق الأول والثاني نقول إن عمر اليهود = ١٥٠٠ سنة تقريباً

وحيث أن اليهود أطول زماناً

إذن عمر أمة الإسلام أقل من ١٥٠٠ سنة

٧ - الطريقة السابعة

(التواطؤ)

إن تواطؤ ستة طرق مختلفة المصادر والمخارج والاستدلالات على تقدير تقريبي لعمر أمة الإسلام يدور حول الـ (١٥٠٠) سنة بدون تكلف ولا تحكم، وإنما أثبتناها من نصوص كلام أئمة الإسلام. تؤكد أن هذا العمر، إن لم يكن من قبيل المؤكد فإنه لا يقصر عن درجة الاحتمال القوي، الذين تطمئن إليه النفوس وتميل إلى توقع كون عمر هذه الأمة يدور حول هذا التقدير .

فهذه الطرق الستة تفيد بمجموع تقديراتها أن :

عمر أمة الإسلام يزيد على ١٤٠٠ سنة

ولا تبلغ الزيادة ١٥٠٠ أصلاً

وهو ما أثبتناه في الكتاب واكتفينا به، فما نحن قد أكدناه وأثبتناه فلا أدرى ماذا سيقول المجادلون؟

وأكرر مراراً ما أكدته في أول هذا البحث وبداخل الكتاب أيضاً أن عمر أمة الإسلام شيء وعلم الساعة شيء آخر لأن بانتهاء عمر الأمة لن يبقى على ظهر الأرض مؤمن (لا عالم ولا جاهل) يذكر الساعة أو يعلم ما الساعة بله لا يذكر الله أصلاً وعلى هؤلاء السفلة تقوم الساعة فتأتيهم فعلاً بغتة كما أخبر ربنا جلّ في علاه، فتنبه لذلك يا عبد الله .

وأقول: إننى أعرض طرق حساب عمر الأمة وبغض النظر عن موافقتى أو مخالفتى لبعضها فإنما أعرضها لأمرين:

الأول: تبين أن مسألة الحساب خاض فيها أئمة أعلام كالطبرى والسهلى والسيوطى وابن حجر، وابن رجب وغيرهم. يعنى أن كلامنا فيها هذه الأيام ليس بدعاً من القول، وإلا كان أئمتنا هؤلاء مبتدعين وحاشا لله. ومن رعم أن فهمه يقترب من فهم هؤلاء الافداد مجرد اقتراب أو عاب قولهم قلنا له:

وكم من عائب قولاً سليماً .: وأفته هى الفهم السقيم
وقلنا له :

وقال السهى للشمس أنت خفية .: وقال الدجى للبدر لونك حائل

الثانى: تبين أن جميع طرق الحساب تتوافق تقريباً فى النتائج وتدور حول الألف وخمسمائة سنة. ولا يهمنا قليلاً أو كثيراً متى بالضبط، ولكن نستفيد شيئاً مهماً وهو أن النهاية قريبة، ليست آلاف السنين، ولا مئات كما يزعم محبو الدنيا، كلا!! ونستفيد أن النهاية يسبقها فتن وملاحم وحروب بينها فى الكتاب، مما يلزمنا بالاستعداد ليوم التناد بالتوبة والإنابة إلى الله، وتهيب القلوب للقدوم على علام الغيوب، والذكر والاستغفار لنيل رضا العزيز الغفار .

هذا ما أردناه، ولأجله أثبتنا ما أثبتناه، فإننا قد وجدنا الخلق فى غفلة وهم معرضون، لا ينفعهم نصح ولاهم يراعون فأردنا أن نذكرهم بأيام الله عسى الله أن يقبلنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

الفصل الثانى

شبهة (٢) علمها عند ربى

قالوا : خالف المؤلف جمهور أهل السنة فى تحديد يوم القيامة (الساعة) .

قلت : هذا من جملة الافتراء على الكتاب . وكل منصف يقرأ الكتاب يتبين له كذب هذه المقالة فقد قررنا ثم أن حديثنا عن « عمر أمة الإسلام » والذي ينتهى بريح لينة يبعثها الله على المؤمنين فتقبض أرواحهم برفق فيموتون جميعاً كموت نفس واحدة وهذا إنما يكون بعد ظهور عدة آيات كبرى تنتهى « بالدخان » ، ويكون هذا قبل قيام الساعة بوقت غير قصير ، جيل من الناس أو جيلين . كما روى عن عبد الله بن عمرو بسند صحيح قال : « إن للأشرار بعد الأخيار عشرين ومائة سنة » أخرجه عبد الرازق وابن أبى شيبة ونعيم فى الفتن وسنده صحيح فكلما منا عن عمر الأمة لا يعنى أننا نتكلم عن « الساعة » لأن « علمها عند ربى » وهذه عقيدة معلومة من الدين بالضرورة لا يجهلها أحد . وما كان ينبغى لأخ فاضل أن يفرد لها محاضرتين كاملتين يسرد فيها الأدلة لإثبات ما هو معلوم للجميع ولا يخفى حتى على « الأشبال » من الطلبة . أم هو شغل الوقت وملء الفراغ ؟

ولا أدرى هل إلى هذا المدى كلت الأفهام عن إدراك هذا الفرق « الجلى »

بين (عمر الأمة) و (تحديد الساعة) ؟

وقال أحدهم - مغالطاً - : (هب أن رجلاً يسأل عن وقت صلاة العشاء ، فقل له : إذا غابت الشمس من ههنا فقد دخل وقت المغرب . وبعدها العشاء ، فهم السائل أن العشاء إنما تأتى بعد المغرب ، فإذا غربت الشمس ودخل وقت المغرب ، انتظر الرجل وقت العشاء القادم لامحالة) ١ هـ . من بحث أجوف لأحد المغموين .

وأقول: وهو هنا يحاول أن يثبت أن كلامنا عن «عمر الأمة» يعنى كلامنا عن «الساعة» وفى سبيل ذلك أتى بهذا المثل المتهالك الذى لايدل إلا على ذهن فقير وملكات محدودة نسأل الله السلامة. فما أتينا إلا من قبل الصغار الذين عندهم نَتَفَّ من العلم من هنا ومن هناك، ولكن المعلومات القليلة تتمدد فى الذهن الفقير حتى تصبح كلَّ شئ . .

ولا أدرى هل أدرك مؤرد هذا المثال السابق أنه عليه لا له؟! أم أراد أن يلبس على الناس ويشغب والسلام !! ثم لا يستحي أن يخاطبني مكرراً يا باشمهندس . . يا باشمهندس وكأنه سُبَّه . سبحان الله . إن الفهم الجيد منه من الله على عباده يستطيعون بها أن يفرقوا بين الغث والسمين وأن يزيلوا اللبس ويكشفوا الخلط الذى يتردى فيه أصحاب المعرفة الضحلة .

وقالوا: بانتهاء عمر أمة الإسلام تنتهى الدنيا أو تنتهى الحياة الصحيحة على الأرض لأنه لايبقى إلا الكفار، ولم يخلق الله تعالى الأرض وزينتها ليستنعم بها الكفار. وتفلسف بعضهم وقال: عمر الأمة لايتهى بالريح، لأنك يلزمك على هذا القول أحد قولين: إما أن شرار الخلق الذين تخلفهم الريح هم من أمة محمد ﷺ أو ليسوا منها. أو بمعنى آخر، هل هم أمة «الدعوة» أم أمة «الإجابة» فإن كانت الثانية فعمر الأمة لايتهى بالريح، وإن كانت الأولى فيلزم على ذلك أن الله خلق خلقاً ولم يبعث إليهم رسولا.

قلت: لا أدرى سببا لهذه الفلسفة «الكذابة»، أحدهم يقول: لم يخلق الله الأرض وزينتها للكفار، والثانى يقول: الأشرار من أمة «الدعوة» أم «الإجابة» سبحان الله . . الأول يظهر كالمعترض على ربه فى قدره وحكمته، والثانى يشترك مع الأول فى التشغيب، وكلاهما ضئيل المعرفة بسنة رسول الله ﷺ .

لقد ثبت فى صحيح السنة أن الإسلام يدرس (ينتهى) تدريجيا بعد قوة وازدهار وظهور عظيم أيام «المهدى» و «عيسى» عليه السلام، إلى أن تأتى الريح فتقبض أرواح المؤمنين وما تخلف إلا الكفار وطوائف من المسلمين لا يعرفون من الإسلام إلا كلمة «لا إله إلا الله» ثم يموت هؤلاء بالسن ولا يبقى على الأرض إلا الكفار الخالص الذين لا يقولون «الله» «الله» فيعيشون مدة من الزمان - لا يعلمها إلا الله - يتمتعون بالدنيا وزينتها، وعلى هؤلاء تقوم الساعة وإليكم أحاديث رسول الله ﷺ التى تبين ما قدمنا، ولو أن الإخوة الأفاضل وسعوا دائرة البحث، ماشغبوا، وما أضاعوا وقتهم فى الجدل.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته». صحيح مسلم عن أبى هريرة .

وقال ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم». رواه مسلم عن عائشة .

وقال ﷺ: «لأنقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله» رواه مسلم عن أنس .

وقال ﷺ: «لأنقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» رواه أحمد والترمذى عن حذيفة وفى المشكاة برقم ٥٣٦٥ .

وقال ﷺ: «يدرس الإسلام، كما يدرس وشى الثوب، حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك، ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه

آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: لا إله إلا الله، فنحن نقولها». صحيح رواه ابن ماجة والحاكم وغيرهما عن حذيفة وهو فى صحيحة الألبانى برقم ٨٧ ..

وبضمنية حديث «أبى سعيد الخدرى» فى الشفاعة فى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما، فإن مقتضاه أن الله تعالى بإذن للشافعين أن يخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من خير، ثم من فى قلبه مثقال نصف دينار من خير ثم من فى قلبه ذرة من خير ثم يقبض الله عز وجل قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيراً قط فهذه هى الشفاعة العظمى وهؤلاء هم الذين قالوا «لا إله إلا الله» ولم يعملوا خيراً قط.

أقول بالنظر فى تلك الأحاديث مجتمعة

يتبين الآتى، وهو واضح بين لكل ذى عينين :

أولاً: يعلو الإسلام ويظهر ويعود قويا كسيرته الأولى أيام الصحابة والتابعين وذلك فى عصر الخلافة الأخيرة، خلافة «المهدى عليه السلام» ووجود عيسى بن مريم عليه السلام. ثم يأخذ الإسلام فى الاندراس والأفول ويكون ذلك بعد موت «عيسى» قطعاً ويكون بعد طلوع الشمس من مغربها وظهور دابة الأرض يقينا لأن الدابة ستسم «المؤمنين» فى وجوههم فتضى وجوههم، كما أنها ستسم «الكفار» فتظلم وجوههم وهذا يعنى أن المؤمنين لا يزالون يعيشون على ظهر الأرض. ويكون ذلك أيضاً بعد «الدخان» الذى يملأ ما بين السماء والأرض (الآية السادسة الكبرى) فيكون على المؤمنين كالزكمة وعلى الكافرين عذاباً أليماً. أى أن اندراس الإسلام يكون بعد ست آيات

كبرى للساعة: الدجال ثم عيسى ثم يأجوج ومأجوج ثم طلوع الشمس من مغربها ثم دابة الأرض ثم الدخان.

ثانياً: يدرس الإسلام كما يدرس (ينمحي) وشي الثوب فلا يُدرى ما صلاة، ولا صيام ولا صدقة ولا نسك. وهنا يرفع الله تعالى القرآن (كلام الله) من الصدور ويُسرّى عليه في ليلة فلا يبقى منه آية. ثم ماذا؟ ثم يبعث الله ريحاً لينة من اليمن فتقبض روح كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان وتبقى طوائف من الناس: الكفار الخالص الأصليون الذين وسمتهم الدابة في وجوههم، وكذلك طوائف ممن ينتسبون إلى «الإسلام» اسماً فقط الشيخ الكبير والعجوز، يقولون «لا إله إلا الله» وليس في قلوبهم مثقال حبة من خردل من إيمان - وهؤلاء ممن يخرجهم الرحمن من النار بشفاعاة أرحم الراحمين

ثالثاً: ثم تمر السنوات - لا يعلمها إلا الله - ويموت «الشيخ الكبير» و «العجوز» ثم ماذا؟ ثم يعمر الأرض أقوام من الكفار الأشرار مدة من الزمن لا يعلمها إلا الله وتمر سريعاً، السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كالساعة هؤلاء الأشرار لا يقولون «لا إله إلا الله» بل لا يعرفون «الله» أصلاً. يعيشون يتمتعون بالدنيا ويكونون أسعد الناس بها مدة من الزمن لا يعلمها إلا الله وإن كانت قليلة وعلى هؤلاء تقوم الساعة.

فكيف يدعى -من لا علم عنده- أن عمر الأمة يعنى ميعاد الساعة.

اتقوا الله عباد الله ودعوا التفلسف والشغب والمراء حتى تسلموا وتسلم قلوبكم.

وقال بعضهم : لا ينبغي أن نخوف الناس «بالساعة». وقربها، ولكن نخوفهم
بساعة كل واحد أى موته لأن من مات قامت قيامته .

وقال آخر : وسمعت أن هناك من أخذ فى شراء «فرس» و «سيف»
استعداداً للملاحم والسنوات القادمة .

وأقول : لو أن ما قاله أخونا «الأخير» صحيح والناس تأثروا بالكتاب إلى
درجة الاستعداد العملى بشراء فرس وسيف، فقد نجح الكتاب فى توصيل رسالته
إلى الناس وهذا توفيق من الله وفعلاً سمعت أن كثيرين قد أفاقوا من غفلتهم
واستقاموا على الطريق والحمد لله رب العالمين. غير أن فى النفس مما قاله أخونا
هذا شيئاً وأظنه «غير صادق» !!!

ثم أقول : سبحان الله .. من قال أننا لا ينبغي أن نخوف الناس بالساعة؟!
من قال هذا الكلام؟! هل هو رسول الله ﷺ أم هم الصحابة أم هم العلماء
الأئمة؟! لم يقل بهذا أحد من سلف. ولذلك لن أقول من الذى ابتدع هذا القول
فى زماننا ولكن أقول: يا عباد الله: خذوا دينكم عن قدمات فإن الحى لا تؤمن
عليه الفتنة. ولو شئنا أن نورد عشرات الأدلة من «الكتاب» و «السنة» التى تخوف
الناس بالساعة لفعلنا، ولكن لأنه شئ معلوم «للأشبال» قبل الكبار، فسنكتفى
بذكر البعض تذكيراً، وتنبيهاً.

قال الله تعالى : «فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها»

وقال سبحانه : «اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون» .

وقال : «اقتربت الساعة وانشق القمر» .

وقال ﷺ : «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدى هدى

محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أتتكم الساعة بغتة بعثت أنا والساعة كهذا، صَبَحْتُمْ السَّاعَةَ وَمَسَّتْكُمْ رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه عن جابر.

وانظر قوله ﷺ «أتتكم الساعة بغتة» وقوله: «صَبَحْتُمْ السَّاعَةَ وَمَسَّتْكُمْ».
واسأل الذين يشغبون هل هذا تخويف بالساعة أم لا ؟

وانظر قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقوله ﷺ: «لست من الدنيا وليست منى إني بعثت والساعة نستبق» .

وغير ذلك أكثر من أن يُحصى . فتعجب من طلبة العلم و «أشباههم» آخر الزمان .

الفصل الثالث

شبهة (٣) التحديث عن أهل الكتاب

قالوا: لا يجوز أن نحدث عن أهل الكتاب ولا أن نستأنس بأقوالهم .

قلت : لا يقول هذا الكلام إلا جاهل بشرع الله !! وما قال به أحد من سلف الأمة من العلماء الأئمة . وإنما أجمعوا على جواز التحديث عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فيما لا يخالف شرعنا . وإننى لأتساءل: من سلفكم فى هذا التخطي ١٩

وأتحدّى من يأتينا بقول واحد فقط من الأئمة يقول بهذا الكلام الساقط الباطل .

وقالوا: قد نهى النبى ﷺ عمر بن الخطاب لما رأى معه صحيفة من التوراة يقرأ فيها وقال له: أمتهوكون فيها يابن الخطاب . أى: أمتحIRON أنتم ومتشككون فى دينكم .

وقال بعضهم - مضطرباً - فى شرائط تسجيل تحت يدى: إن النبى ﷺ لما وجد الصحابة يتخرجون أشد الخرج من الحديث عن أهل الكتاب أذن لهم .

قلت: هذا من تدليسكم أو تلبيسكم أو قلة العلم وضيق العطن* ولازال التحدى قائماً أن تأتوا بقول واحد فقط من السلف الصالح يقول بقولكم . «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا» فإن عجزتم . وهذا هو الواقع - فكيف تستجيزون لأنفسكم أن تلبسوا على الناس دينهم ؟!

* ضيق الأفق وضحالة المعرفة .

واسمعوا إلى حكم هذه المسألة - شرعاً - كما جاءت على لسان حبيبنا ﷺ،
ثم أقوال علمائنا الأئمة - رحمهم الله - لعلكم ترجعون.

قال رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا حَرَجَ» أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمرو .

وكان يمكن أن نكتفى بإيراد هذا الدليل على جواز التحديث عن بنى
إسرائيل ففيه الغنية والكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولكن
آخر الزمان حيث يقل العلم وتظهر الفتن، وتكل الأفهام عن إدراك مقاصد الشرع
ومناط الأحكام، فإنه يصير من الضرورة بمكان أن نورد أقوال أئمتنا الأعلام
المستنبطة من الأدلة الشرعية- المعروفة المقررة عند أهل أصول الفقه - حتى يعلم
طلبة العلم كيف يكون الفقه وكيف يكون الاجتهاد .

- قال الإمام مالك - رحمه الله : « المراد جواز التحديث عنهم بما كان من
أمر حسن أما ما علم كذبه فلا » .

وقال الامام الشافعى : «من المعلوم أن النبى ﷺ لا يجوز التحديث بالكذب،
فالمعنى حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج
عليكم فى التحديث به عنهم» . انظر فتح البارى ح ٦ ص ٤٩٨ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنه ﷺ رخص فى الحديث عنهم. ومع هذا
نهى عن تصديقهم وتكذيبهم، فلو لم يكن فى التحديث المطلق عنهم فائدة لما
رخص فيه وأمر به» . ١هـ بنصه . من مجلد ١٨ ص ٦٧ مجموع الفتاوى .

وانظر كذلك كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية تجد

فيه كماً ضخماً من النقولات عن أهل الكتاب أوردها الإمام ص ١-٦ . وكذلك انظر في كتب السلف عموماً تجد المسألة أوضح من أن توضح وأظهر من أن تبين .

انظر ما سبق وتعجب من خفاء ذلك على بعض طلاب العلم اليوم.

ونختتم هذه الأقوال بمقالة شيخ الإسلام ابن حجر - رحمه الله - قال: (أى لاضيق عليكم فى الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار) أه فتحت البارى ح ٦ ص ٤٩٨ .

ولا يخفى على أحد أن خبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكذلك عبد الله بن عمرو بن العاص العالم الجليل وغيرهما كانوا يحدثون عن أهل الكتاب فاتقوا الله يا أولى الألباب، ولا تضربوا الأحاديث ببعضها البعض فتشوشوا على الناس بحديث «النهى» الذى علمتم - إن كنتم تعلمون - أنه كان فى بادئ الأمر ثم حصل لإذن فى ذلك كما قال ابن حجر والعلماء . فاسألوا - يا عباد الله - أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

البقرة الحمراء

وهنا قد يثور سؤال -جانبى- وهو: ما واجبنا نحو ما نسمعه من أهل الكتاب عن «البقرة الحمراء» ؟!

والإجابة : «البقرة الحمراء» شأنها كشأن ما يحدثنا به أهل الكتاب أن نقول فيه ما قاله رسول الله ﷺ «لاتصدقوهم ولا تكذبوهم» فالبقرة الحمراء المقدسة عند اليهود - عليهم اللعنة - هى من مواريتهم التوراتية، فإنهم يزعمون أن بقرة حمراء اللون -كلها- لا يخالطها لون آخر ستظهر آخر الزمان ويكون ظهورها علامة من «الرب» على قرب مجئ ملكهم المخلص العبرى الذى يقودهم لزعامه العالم كله، وإذلال أهل الأرض (الأميين) أو (الأميين) أو (الجوييم)^(١) وهم من سوى اليهود.

هذه البقرة الحمراء قالوا عنها قريبا أنها قد ولدت فى حيفا (اسرائيل) فى شهر أكتوبر ١٩٩٦ وأنها بمجرد إتمامها العام الثالث من عمرها ستذبح على الهيكل (هيكل سليمان) والذى سيتولى ذلك هو ملكهم المخلص (المسيح الدجال) حيث يقوم مع رئيس الكهنة بمراسم هذا «الذبح» ويظلون هناك سبعة أيام يصلّون «للرب» ظانين أن نارا تأتى من السماء فتحرق الذبيحة، فيكون ذلك علامة من «الرب» على قبول توبتهم.

وهذا يعنى - فى دين اليهود ومعتقدهم - أمرين :

الأول : أن اليهود جادون فى محاولاتهم هدم «المسجد الأقصى» حتى يقيموا على أنقاضه الهيكل المزعوم. فهم يعتقدون أن المسجد الأقصى مبنى على «هيكل سليمان» .

الثانى : أن ظهور الملك الملهم المخلص (والذى سمّاه رسول الله ﷺ المسيح

(١) سيصدر قريبا - بإذن الله تعالى - كتاب للمؤلف بعنوان: تسليط الصولجان على شياطين الإنس والجان. يفضح فيه مخططات اليهود وسائر شياطين الإنس ، ومكائد الجان.

(الدجال) قد صار قاب قوسين أو أدنى .

والسؤال مرة أخرى ما واجبنا نحن المسلمين تجاه هذا الذى نسمعه من بنى إسرائيل عن البقرة الحمراء المقدسة^(١) - بزعمهم - ١٩

والجواب: ما أمرنا به المعصوم ﷺ بقوله: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» أى لا نصدقهم مطلقاً ولا نكذبهم ابتداءً (فيما لا يخالف شرعنا) فقد نصدقهم فنكون قد صدقنا بباطل وقد نكذبهم فنكون قد كذبنا بحق، لأن الله جل وعلا أخبرنا عنهم أنهم قد حرفوا وبدلوا بعضاً مما جاءتهم به أنبيأؤهم عليهم السلام. فنحن لاندرى ما حدثونا به من الحق هو أم من الباطل، فالصواب لزوم سبيل «المحايدين» فلا نصدق ولا نكذب فمن قال: يلزم تصديقهم فقد أخطأ شرعاً ومن قال: كذبوا وحرفوا فقد أخطأ كذلك. وإن كان بد من ترجيح أحد الجانبين فنميل إلى التصديق - فيما لانعلم كذبه أو يخالف شرعنا- لأنهم عندهم أصل علم سماوى. كما هو معلوم أنهم كانوا -كما قال الله تعالى- «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» أى يعرفون صفات النبى ﷺ ونعته وحليته، بل موعد ولادته ومهاجره (جهة هجرته) كما هو مروي فى كتب التواريخ والسير. فواجبنا أن نأخذ كلامهم عن «البقرة الحمراء» وغيرها مأخذ الجد، ولا أدرى لمصلحة من يحاول بعض مدعى العلم أن يجعلوا المسلمين

(١) نقل هذا الخبر صحف كثيرة مصرية وعربية وأجنبية. انظر جريدة «الأسبوع» المصرية الصادرة يوم ١٩٩٧/٣/٢٤. ونقل الخبر أيضا جريدة «الأخبار» القاهرية فى مقالة الاستاذ/ وجيه أبو ذكرى إبريل ١٩٩٧ وكذلك نقلته جريدة «نيوزويك» الأمريكية وصدرت المقالة بصورة البقرة الحمراء «ميلودى». وانظر أيضا المقالة - القيمة- للأستاذ الفاضل/ محمد السماك فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٧/٨/٢٠ بعنوان: ليست أضغاث أحلام. حيث نبه ان اليهود جادون فى مسألة هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه ويجمعون لذلك الأموال بل بدؤا فى جلب الحجارة اللازمة ويقومون الآن بصقلها .

كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال - والواقع أن النعامة لا تفعل ذلك ولكنه أصبح مثلاً - حتى لا يراها الصياد، ولا تدرى المسكينة أن الصياد يبصرها وأنها هي التي عميت عنه، ويوشك أن يمسك بها ويقطع رأسها التي مرغتها في التراب.

٤ - الفصل الرابع

شبهات مضحكة

والمضحك فيها أنها شبهات وأطروحات تصدر ممن ينسبون أنفسهم إلى العلم والسلفية فإذا كان هذا حال أهل العلم، فكيف بالعمامة من الناس؟! حقاً.. شرُّ البليّة ما يضحك. وسأوردها مع تعليق يسير أو بدونه حتى لا نضيع وقت القارئ، وأيضاً لبيان تهافتها.

وكل ما ذكرته قبل وسأذكره بعد من أقوال وشبهات هو ثابت عندي منسوب إلى قائله في شرائط تسجيل أو في قراطيس، ومن شاء أن ينسب (أي الأقوال إلى قائلها) فلا مانع عندي، ولن أنطوع ابتداءً.. لأن الله قد أمر بالستر.

قال أحدهم: لما حدّث النبي ﷺ صحابته عن الدجال قاموا يبحثون عنه في البساتين.

قلت: أخونا هذا قال كلامه ذاك في معرض التشكيك في أن الدجال هو أول الآيات الكبرى وأقول له: إياك أن تكون فهمت ذلك من حديث النّوّاس بن سميّان في صحيح مسلم «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فعخّض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل..»

فهذا فَهْمٌ لا يَقْبَلُ من الصغار فضلاً عن الكبار . . ولكن المعنى أن الصحابة الكرام ظنوا من كثرة ذكر النبي ﷺ للدجال وتشديده في أمره أنه مختبئ بين هذه النخلات القريبة يوشك أن يخرج إليهم، يعنى قرب زمانه. فلاحم قاموا يبحثون عنه ولا يحزنون !!

فلا أدري من أين جاء بهذه «الحدوته» المكذوبة على الصحابة الكرام. ولو أن أخانا هذا قال هذا الكلام في جمع من العامة من الناس لقلنا له: أخطأت بتصويرك الصحابة العظماء بصورة لاتليق من السذاجة. أما إنه قال ذلك لطلبة علم شرعى، فأقول له: كذبت على الصحابة . . ولم تتعلم منهم تحريهم الدقة في نقل الأحاديث فقد كانوا يتحرجون في رواية الحديث من الباء والتاء وانظر كتب مصطلح الحديث فما بالنا نحن لانتحرج . . بل لا نستحي أن نخترع «حدوته» وقد يدخل هذا تحت باب «الوضع» .

ثم إن تشكيك في سبق الدجال للآيات الكبار يفتح باب شر، فقد يخرج الدجال وأنت لاتزال تقول للناس، هذا ليس هو الدجال، فالدجال ليس أول العلامات، وهنا تكون أنت ومصدقوك معرضين لفتنة الدجال، وتكون بكلامك هذا قد آدبت المسلمين إيذاءً شديداً وكنت فتنة لهم. نسأل الله أن يعصمنا جميعاً من فتنة «الدجال» آمين.

وانظر كتابي «عمر الأمة» تصل إلى الحق في هذه المسألة وهى أن الدجال أول الآيات الكبار، قال بذلك المحققون من العلماء كابن حجر وابن كثير والطبرى والبيهقى وغيرهم .

- وقال أخونا السابق : لفظة «المهدى عليه السلام» لا تجوز لأنه ليس نبياً .

وأقول : المضحك فيها أنه يذكر المهدى قائلا : «المهدى رحمه الله». وأقول يا شيخ . . هل تحفظ «التشهد» ؟ أم أنك تقرأها بلا تدبر ؟ لو تدبرت لوجدت نفسك منذ عشرات السنين تقول كل صلاة : «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» وكذا تسلم على محمد وعلى آل محمد ﷺ .

والمهدى - بلاخلاف - من آل محمد ﷺ للأحاديث الكثيرة منها : «المهدى منا أهل البيت» وغيره كثير . وانظر يا أخى تفسير " «الآل» فى كتب شروح الأحاديث والفقه (المغنى - سبل السلام - نيل الأوطار) ولو أنك نظرت فى صحيح البخارى لوجدته قد بَّوب - فى فضائل الصحابة - بابا سماه : باب : فاطمة عليها السلام (فتح البارى حـ٧) فهل فاطمة عليها السلام نبيه ؟

لو أنك فعلت ذلك ما كنت أظنك ؛ تضحكننا بقولك : «المهدى رحمه الله» لأن لفظة «رحمه الله» تطلق على «من قضى نحبه» ومات ، ولفظة «حفظه الله» تطلق على «من ينتظر» فلا أدري ، هل «المهدى» -على فهمك- لم يأت بعد ، أم قد مات ؟

وأقول لك : لا مانع أن نقول «المهدى عليه السلام» . . قلها والعهد على .

وقال أخونا : إن الآيات الكبرى لا تتبع العلامات الصغرى .

وأقول : هذا فهمك أنت ، أما فهم العلماء فإن مدلول لفظة «العلامات الصغرى» عندهم هو أن مجيئها يكون إرهاصاً ومقدمة لبدء الآيات الكبرى . والإ - فما يكون هناك معنى لتسميتها «علامات صغرى للساعة» . ثم انظر - يا أخى -

إلى قول النبي ﷺ لما ذكر فتن آخر الزمان، فتنة «السراء» ثم «الدهيماء»، قال ﷺ: «فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده» يعنى هذا أن الآيات الكبرى تتصل بالعلامات الصغرى اتصالاً مباشراً فاحفظوا يا عباد الله قولكم، وتفكروا قبل أن تنطقوا، فإن الله تبارك وتعالى جعل على اللسان غلقاً . . وباباً .

وقال : نهى النبي ﷺ عن الأغلوطات، وعدَّ منها تحديث الناس عن الساعة وأشراتها .

قلت : هذا مضحك أيضاً، ومن قرأ كتاب الله ونظر في سنة رسوله ﷺ عرف خطأ هذه المقالة السخيفة وقد قدمت بعض الآيات والأحاديث النبوية فارجع إليها أيها الأخ الفاضل .

وقال صاحبنا : إن النبي ﷺ لما وجد الصحابة يتحرَّجون أشدَّ الحرج من التحديث عن أهل الكتاب أذن لهم في التحديث عنهم .

قلت : هذا مضحك أيضاً . . . لأنك - يا أخى - قد اضطربت اضطراباً واضحاً - وشريط التسجيل تحت يدي - فقررت - متجرئاً - أنه لايجوز الحديث عن أهل الكتاب والاستئناس بكلامهم . . ثم رجعت فقررت أن النبي ﷺ أذن للصحابة في التحديث، لما وجد من تحرجهم الشديد. وأقول لفضيلتك : أولاً علَّه التحرج التى ذكرتها هى علَّة «مخترعة» أى من عند نفسك فمن أين أتيت بهذا الكلام العجيب الباطل ؟ ثم أقول : لاندري ماهو رأيك فى هذه المسألة أهو الجواز أم المنع، فإنك قد قررت الشئ ونقيضه . وهذا ما يضحكننا اضطرابك فى مسألة ثابتة عند العلماء من السلف، فما هو آخر كلام لك بارك الله فيك ؟ .

وقال أخ : إن المؤلف قال فى كتابه: إن الجيش الذى سيُخسف به للمهدى هو جيش من المشاة وتساءل أخونا: هل إذا كانوا ركباً لنا يُخسف بهم ؟!

قلت : يظهر أن أخانا لا يعرف شيئاً عن «العسكرية» . . . ولا أدرى ما سيكون حاله هو وأمثاله فى الحروب القادمة والملاحم القريبة ؟ نعوذ بالله من الخذلان .

المشاة - يا أخى - لا يعنى أنهم يمشون على أرجلهم، وإنما يعنى ذلك السلاح من أسلحة الجيش الذى ينفذ أوامر وتكتيكات عسكرية بالاقترام المباشر للعدو. وحتى يصل جنود المشاة إلى الموقع المطلوب فإنهم «يركبون» المدرعات والمصفحات. والمشاة منهم «المترجل» ومنهم «الميكانيكى». فلو أنك سألت - يا أخانا - «جندياً» فى الجيش، ولا أقول «ضابطاً» لما كتبت هذا الكلام المضحك الذى يدل على «سطحية» وسذاجة متناهية.

وقال أخ فاضل: (هناك نار تخرج من اليمن، والدجال لن يدخل مكة والمدينة، والملاحم تكون فى الشام، فهل عدنا علماء فى هذه الأماكن؟ لماذا لانسأل هؤلاء ونقول : يا من تعيشون فى هذه البلاد التى ستحصل فيها هذه الأحداث هل توافقوننا على هذا الكلام ؟!) انتهى بنصه من شريط تسجيل .

قلت : هذا - فعلاً - من أطرف ما سمعت، أحونا - الفاضل - يطلب منا أن نسأل «الشيخ» «مقبل» عن «النار» لأنها ستخرج من «اليمن» ونسأل الشيخ «ابن بار» عن «الدجال» لأنه لا يدخل مكة والمدينة، ونسأل الشيخ الألبانى عن «الملاحم» لأنها ستحدث فى الشام. وأقول لأخى: فهل يجوز على قولك أن نسأل «الشيخ الألبانى» عن النار وعن الدجال أيضاً أم لا؟ وهل يجوز أن نسأل

«الشيخ ابن باز» عن النار وعن الملاحم أم لا ؟ ثم لماذا - على قولك - نسال
«الشيخ ابن باز» عن الدجال ، وهو لا يدخل مكة والمدينة كان يلزمنا سؤاله لو أن
الدجال دخل مكة والمدينة .

أيها الأخوة الأفاضل تدبروا فيما تقولون، لاتجعلونا أضحوكة .

وأقول : إن العلامة «الإلباني» والعلامة «ابن باز» شيوخ وأئمة، نعم. لكن
هناك من لا يقل عنهم علماً وفقهاً من علمائنا، فلماذا تحصرهم العلم في
أولئك ؟ ثم إن ادعاء بعض الإخوة لهذه الأيام أنهم تلاميذ الشيخ «الإلباني» أو
الشيخ «ابن باز» أو الشيخ «مقبل» لايعنى أنهم أصبحوا مثلهم. فليس كل تلميذ
يكون نجيباً، وأنى لمن لم يهبه الله ملكات التفوق وقدرات النبوغ من عقل ذكى
وقلب نقى أن يرث علم أستاذه، وإن لارمه عشرين أو ثلاثين سنة. وإننى لأرى
فجوة عظيمة عميقة بين علم وفهم أولئك الذين لايفتأون يزعمون التلمذ على
يد شيوخنا الأجلاء، وبين علم وفهم شيوخهم. وماذكرته فى تضاعيف هذا
الكتاب من خلط ولبس وجهل بقواعد اللغة العربية عند كثير من مدعى «السلفية»
وراعى التلمذ ليؤكد رأى أن التلاميذ ليسوا على مستوى لائق من الفهم السليم
والقدرات الذهنية التى تجعلهم مؤهلين لوراثة شيوخهم. وإننى لأوجه الدعوة إلى
شيوخنا الإجلال أن لا يكتفوا بجلوس تلميذ أمامهم يسمع منهم سنة أو اثنتين أو
ثلاثاً، ولكن لابد من عقد اختبار لهم شفويًا وتحريراً، يختبر مدى حفظهم
للقرآن، ولل سنة، ومدى إلمامهم بقواعد اللغة وباقى العلوم الشرعية، فمن جاز
الامتحان أجازوه، ومن رسب أمهلوه ولكن لا يخلّى بينه وبين الناس يتوش عليهم
ويلبس، بدعوى أنه تلميذ الشيخ فلان. أو تلميذ تلميذه !! واكتفى بهذا من
الشبهات المضحكة . . . فإن كثرة الضحك تميم القلوب .

٥ - الفصل الخامس

شبهات معتبرة

يستطيع كل أحد أن يشغب ويشوش، ولكن لا يستطيع أن يلزم الناس بتشويشة، وتليسه فإن الحق واضح أبلج كالشمس في رابعة النهار. ولما قام بعض الإخوة بإلقاء محاضرات للرد على «الكتاب» ظل مدة طويلة يسرد الأدلة على أن الساعة لا يعلمها إلا الله والسامعون ساكتون لا يعلقون لأن هذا معلوم من الدين بالضرورة ولسان حالهم يقول: فلم استغرق الوقت في إثبات ما هو ثابت فلما بدأ أخونا في «النقد» فوجئ بسيل من اعتراضات أهل العلم على كلامه، حتى اضطر إلى إرغامهم على السكوت مهدداً بأن هذا يفسد المحاضرة. وقال أخونا: «أنا أعلم إن هناك ناساً جاءوا ليردوا»، يعنى بذلك أننى أرسلتهم ليشوشوا عليه المحاضرة. وأقول لأخي: والله ما أرسلت أحداً، ولا أعرف أصلاً مكانك ولا اسمك إلا بعد وصول شريط التسجيل للمحاضرة ووقوعه في يدي .

والأفاضل الذين عارضوك بشدة لا أعلم من هم، إلا أنهم من أهل العلم. . . والإنصاف. وعلى كل، فلم أجد فيما قلت - يا أخى - كلمة واحدة تستحق الرد، وقد ذكرت معظم كلامك في المقدمة ورددت عليه وليس منها شيء يعد من الشبهات المعتبرة، وقد حصرت تلك الشبهات في ثلاث وكان يمكن ألا يشغبوا بها لو أنهم أجهدوا أنفسهم في البحث والعلم وعلى كل ف فيما يلى هاتيك الشبهات «المعتبرة»، ومعها الأجوبة الشافية بإذن الله .

الشبهة الأولى: أنكر بعضهم اطلاقنا لفظة «خليفة» على ملك السعودية وقال هو ليس كذلك والجواب: أننى قد قلت فى «الكتاب» أنه خليفة «مجازى»

أو «اعتباري» وهذا يسوغ أن يقال، لأن لفظة «ال خليفة» تطلق على من خلف غيره. قال الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - (ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين «خلفاء»، وإن كانوا ملوكًا، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء. بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدى، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم». فقوله: «فتكثر» دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيرًا، وأيضًا قوله «فوا بيعة الأول فالأول» دليل على أنهم يختلفون، والراشدون لم يختلفوا» انتهى بنصه من مجموع الفتاوى مجلد ٣٥ ص ٢٠ وقال رحمه الله: (والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، والخلف فيه مناسبة . . . وقد ظن بعض القائلين المغالطين - كابن عربى - أن الخليفة هو الخليفة عن الله مثل نائب الله، وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفًا . . .» ١هـ ص ٤٣ - ٤٤ نفس المرجع .

وأقول : لقد كثرت المغالطات في أيامنا ولا ابن تيمية لهم. وأقول : لو أن المعارضين كان عندهم علم بما نص عليه «ابن تيمية» لما شغبوا، وأقول لقد ابتلينا بتلاميذ التلاميذ.

الشبهة الثانية : أثارها بعض المبتدئين من طلبة العلم، وهى مع وجاهتها إلا أنها كان يمكن ألا تثار لولا قلة العلم بالحديث ومصطلحاته، والفقر الشديد الذى يعانى منه طلبة العلم فى قواعد اللغة العربية وأساليبها- قال أخونا - طالب العلم - المبتدئ : إن «المهندس» - وهو ما يخاطبني به كثيرًا - ذكر ص ٣٣ من الكتاب

الحديث رقم (٥٩) فى علامات الساعة الصغرى وهو: «يوشك أهل العراق أن لا يُجيبى إليهم قفيز ولا درهم قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجيبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم» رواه مسلم فى صحيحه. ثم قال: لماذا لم يذكر «المهندس» رواية مسلم التى تقول: «منعت العراق درهما وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها..» لماذا لم يأت بهذا «الحرف» .

والجواب: أقول قبل الجواب :

أولاً: قولك : لماذا لم يذكر المؤلف رواية مسلم يوهم - تدليسا - أن الحديثين حديث واحد بروايتين. وهذا خطأ أصولى لا يقع فيه حتى المبتدئين. ولا أقول إن أخانا قد تعمد التدليس ولكن أقول - إحساناً للظن به - أنه لا يعرف الفرق بين مصطلحات الحديث: الرواية والطريق والحديث والأثر، والمتابعات والشواهد وغيرها مما هو مقرر معلوم عند أهل هذا الشأن. فاعلم - يا أخى - أن الأثرين المذكورين هما حديثان مختلفان فى السند والمتن، وفى الرواية والدراية، وليسوا روايتين لحديث واحد كما وهمت أنت، وأوهمت غيرك، فالحديث الأول رواه مسلم بسنده، قال: حدثنا زهير بن حرب وعلى بن حُجر «واللفظ لزهير» قالوا : حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن الجريري عن أبى نضرة قال: كنا قعوداً عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك وذكر الحديث الأول .

أما الحديث الثانى فقد رواه مسلم بسنده قال: حدثنا عبيد بن يعيش وإسحق بن إبراهيم «واللفظ لعبيد»، قالوا حدثنا يحيى بن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد حدثنا زهير عن سهل بن أبى صالح عن أبىه عن أبى هريرة قال

قال رسول الله ﷺ مَنَعَتِ العراق . . . وذكر الحديث الثانى :

أفترى أيها الأخ الكريم أدنى علاقة بين الحديثين سواءً فى السند أو فى المتن؟ فلماذا التفلسف الأجوف الذى تلتزمونه والتشدد بالفاظ وكلام لا تحسنونه حتى تقول: لماذا لم يأت المهندس بهذا «الحرف» أم هى ألفاظ ترددها كاليغاوات ولا تدرون معناها ؟

ثانيا : لو نظرت - يا أخى - فى ألفاظ الحديثين - وتركت السند الآن جانبا - لوجدت الحديث الأول يقول: «يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم» ومثله الشام أن لا يجبى هكذا بضم أوله «يجبى» أى يمنعون منه بسبب حصار ونحوه أو مقاطعة خارجية، وهذا خاص - كما فى الحديث - بالعراق والشام فقط، ولم تذكر «مصر» هنا أما الحديث الآخر وهو «مَنَعَتِ العراق» ومثله الشام ومثله مصر فهو بفتح أوله «مَنَعَت» أى أنهم هم الذين يمنعون ذلك أى هم الفاعلون، وليسوا المفعول بهم، وذكرت مصر هنا. وطبعا هناك فرق هائل جوهرى بين المعنيين استفدناه من حركة «الحرف» الأول فى كل من اللفظين «يُجبى» و «مَنَعَت» فالأول (مبنى للمجهول أو لما لم يسم فاعله، والثانى مبنى للمعلوم) .

أقول : إن الذى أوقعك فى هذا المزلق «الخطير» جهلك بقواعد اللغة العربية وأساليبها البيانية، ولا أقول تدليسك ومغالطتك، فالأولى أهون وأيسر وعلى هذا الذى قدمناه يكون الجواب عن هذه الشبهة سهلاً وقريباً فالنبي الكريم ﷺ أخبر أن أهل العراق - كما فى الحديث الأول - سيحاصرون ويقاطعون ويمنع عنهم (بضم الياء التحتية) الطعام والمساعدات، ثم يفعل هذا بالشام أيضاً،

وقد وقع ما أخبر به حبيبنا محمد ﷺ قريباً جداً^(١).

وكذلك أخبر النبي ﷺ فى حديث آخر - ليس له علاقة بالحديث الأول - أن البلدان الإسلامية سترتد فى آخر الزمان فتمنع مالزماها من الزكاة وغيرها وقد ذكر العلماء أقولاً أخرى، ولكن هذا الذى أثبتته هو المعتبر، لأنه الواقع، ونص الحديث يؤيده، فقد جاء فى آخر الحديث التالى: «وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم» ويمكن أن نقول أن الردة التى ذكرها العلماء ليست الردة عن الدين بالكلية، وإنما هى سقوط «الخلافة» وتفكك الدولة الإسلامية إلى دويلات مستقلة وانعدام بيت المال، ومنعت البلدان «الإسلامية» الخراج الذى كان يؤدى لبيت المال وعلى أى التاويلات والتقدير، فالحدثان مختلفان، سنداً وممتناً وفقها ويمكن أن نضيف هذه العلامة كعلامة صغرى من علامات الساعة وهى سقوط الخلافة، ومنع الدويلات الإسلامية المشرذمة ما كان يجب عليها ويلزمها فى دولة الخلافة.

الشبهة الثالثة: ذهب بعض أهل العلم الأفاضل - فى ترتيب الأحداث - إلى أن «المهدى» سيظهر قبل المعركة التحالفية «هرمجدون» وأنه هو الذى سيتولى عقد «الصلح» مع الروم قبل «هرمجدون» وقال بعضهم: إن المعركة التحالفية «هرمجدون» قد حدثت فعلاً: وهى «حرب الخليج» فقد كانت «تحالفية» و «نُصرنا فيها نحن والرون (أمريكا وأوروبا) ونحن الآن فى فترة الغدر التى يعقبها ظهور «المهدى» وبدء «الملاحم» ولعل - على قولهم - أن ما جاء فى الحديث من أن

(١) أوردت جريدة الأخبار «القاهرة بتاريخ ١٩٩٧/٩/٢٩» خبراً يقول: إن أكثر من مائتى ألف شخص (٢٠٠٠٠٠) قد ماتوا فى العراق بسبب الحصار.

خلافاً لثور بين «المسلمين» و «الروم» قد وقع متصرفنا من المعركة، خاصة وأن الرواية تقول «ويكرم الله تلك العصابة بالشهادة» أى أن الطائفة التى اختلفت مع الروم «أمريكا» مرجعهم من «المعركة» قد اشتبكوا معهم وقتلوا جميعاً وأكرمهم الله بالشهادة .

وأقول : ما قيل محتمل . غير أننا لا نوافق على أن «حرب الخليج» هى «هرمجدون» لأنها - أى هرمجدون - تقع فى فلسطين، وهى حرب عالمية، ويعقبها غدر الروم، و«حرب الخليج» لا تتوفر فيها هذه الصفات، فنستبعد أن تكون هى وتقول أن «هرمجدون» ستكون شبيهة بحرب الخليج فى الصورة «والكتيك» فهى «السيناريو» لـ «هرمجدون» وأما قول بعض الاخوة أن «المهدى» سيظهر قبل «هرمجدون» فنقول هذا محتمل، ولا خوف من الاختلاف فى ذلك الترتيب، لأن المهدى علامة ظهوره معروفة، و«هرمجدون» صفاتها معروفة، فأتيهما ظهر أولاً فلن يخفى علينا ولن يكون للاختلاف فى ترتيب الظهور فتنة ان شاء الله . والله العليم والحمد لله رب العالمين .

هذا ونكتفى بما أثبتناه من شبهات وردود وطرق حساب عمر الأمة، وإن المسلم المخلص إذا نظر بعين الإنصاف إلى مآذكرناه، لا أقول لزمه التسليم والاعتناع، ولكن أقول ينبغى عليه - على الأقل - أن يتوقف ويبحث بنفسه ويقرأ فى كتب السلف، ولا يجعل كل اعتماده على فهم بعض إخوانه من «طلبة العلم»، فما يدرى هل صحَّ فهمهم أم لا . أما الانقياد الأعمى والتسليم المطلق فمثل صاحبه كمثل «الميت» بين يدي «مغسلة»، ومثله كمثل بنى «إسرائيل» الذين قال الله تعالى فيهم: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» وإننى لأربأ

ياخوانى أن يكونوا كذلك، أو أن يكونوا ببغاوات يرددون ما يلقى إليهم. وإننا سنقف جميعاً بين يدي عليم حكيم، أنتم وأنا وتلك «العصابة» التي تُعدُّ على أصابع اليد الواحدة من الذين تولّوا كبر هذا «الافتراء» وسيحكم بيننا جميعاً، فيقتص من الحاسدين، والكاذبين والمفترين والباغين للبراء العيب. نسأل الله السلامة والثبات عند الفتن، ونسأله سلامة القلب وصدق اللسان وثبات الجنان، ودخول الجنان إنه هو الرحيم الغفور الكريم المنان. وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مهندس / امين جمال الدين

ت: ٢٤١٢٢٠٠

ثبت باهم المراجع

القرآن العظيم
 صحيح البخارى
 صحيح مسلم
 صحيح الجامع الالبانى
 السلسلة الصحيحة للالبانى
 مستدرك الحاكم
 مجمع الزوائد للهيثمى
 مختصر العلو الالبانى
 تفسير القرآن العظيم لابن كثير
 تفسير روح المعانى للألوسى
 فتح البارى لابن حجر
 فتح البارى لابن رجب
 شرح صحيح مسلم للنووى
 مجموع الفتاوى لابن تيمية
 رسالة الكشف للسيوطى
 اللآلى للسيوطى
 الاتقان للسيوطى
 المفهم للقرطبى
 التذكرة للقرطبى
 تاريخ الطب
 التاريخ لابن عساکر
 تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)

فهرس الموضوعات

صفحة	الموضوع
٣	تصدير
٥	مقدمة
١٢	الفصل الأول : شبهة «حساب عمر الأمة»
١٨	بحث فى طرق الحساب (بحث نفيس)
١٨	الطريقة الأولى
١٩	الطريقة الثانية
٢٧	الطريقة الثالثة
٣٠	الطريقة الرابعة
٣٣	الطريقة الخامسة
٣٤	الطريقة السادسة
٣٦	الطريقة السابعة
٣٨	الفصل الثانى : شبهة «علما عند ربى»
٤٥	الفصل الثالث : شبهة «التحديث عن أهل الكتاب»
٤٧	البقرة الحمراء
٥٠	الفصل الرابع : شبهات «مضحكة»
٥٦	الفصل الخامس : شبهات معتبرة
٥٦	الشبهة الأولى : الخليفة
٥٧	الشبهة الثانية : الحصار
٦٠	الشبهة الثالثة : ترتيب الأحداث
٦٣	خاتمة

هذا الكتاب

« بحثٌ مُستفيض في طرق حساب عُمر الأمم، مستنبط من كلامٍ صحيح النسبة إلى أئمة أعلام.

« تأكيد وبيان لما جاء في كتابنا «عمر أمة الإسلام» وقرب ظهور المهدي عليه السلام.

« يخاطب الأذكىاء النبهاء من أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة. يبين أن ثمة طرقاً مستفيضة للحساب تتواطأ على تقدير تقريبي لعمر الأمة الإسلامية لا يقصّر عن إلزام المخالفين بالتوقف إن لم يكن بالتسليم.

« يؤكد ما قررناه قبل من أن حساب عمر الأمة لا يعني علم الساعة، فبينهما فارق زمني يمتنع معه إدعاء معرفة «الساعة» ولكن لا يمنع علم قربها. هو إبطال وإفحام لما أثاره... بعض الغوام.

« وهو ردٌ اضطراري على تشغيب المشاغبين مثله كمن قال :
— ربّ ضارة نافعة.

— ولولا الليل ما عرف النهار.

« وهو اختبار لطلبة العلم الأخيار، هل هم من أتباع «الدليل» أم من أتباع «الرجال».